التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 215 السنة 23 - أكتوبر 2025

«طيران الخليج» .. إلى متى؟

تسليع التعليم

03

الغرب بين نفي الإبادة والاعتراف بدولة فلسطين

15

موقفنا

أمريكا ليست ضامنة لأمن الخليج

أكدّ العدوان الإسرائيلي على دولة قطر الشقيقة، مجدداً، أنّ التعويل على الولايات المتحدة الأميركية ضامناً لأمن دول مجلس التعاون الخليجي هو وهم كبير. فعدوان بهذا الحجم على دولة مستقلة ذات سيادة وتربطها بواشنطن علاقات استراتيجية متعددة الأوجه، شأنها في ذلك شأن بقية دول المنطقة، ما كان ممكناً بدون علم واشنطن وسماحها به.

بعث هذا العدوان رسالة واضحة بألا ثقةَ في واشنطن التي تقدّم نفسها حليفاً لبلدان المنطقة، وتملك قواعد عسكرية كبيرة على أراضيها، فهي مستعدّة في سبيل إرضاء إسرائيل ودعمها في تحقيق أهدافها لإدارة ظهرها لمصالح حلفائها في الخليج، ولسيادة بلدانهم في وجه التهديدات، فما يحكم نهج أمريكا هو مصالحها ومصالح إسرائيل، لا مصالح دولنا، وليس أدلّ على ذلك من أنّ وجود قادة "حماس" في الدوحة، قائم بموجب تفاهمات دولية وإقليمية، وإسرائيل طرف فيها، كما أنّ العاصمة القطرية محطّة مفاوضات دائمة حول الوضع في غزّة، وحتى اجتماع قادة حماس الذين استهدفهم العدوان الإسرائيلي كان ضمن الترتيبات الجارية لبلوغ هدنة في القطاع.

على دولنا أن تعيد النظر في نهجها، عبر علاقات متساوية مع الأقطاب الدولية الوازنة، وأن تكفّ عن الاعتماد الأعمى على واشنطن، في ظلّ ما يشهده العالم من تغيّرات في اصطفاف القوى، يختلف عن الذي كان قائماً فترة الحرب الباردة، حيث ينطلق توازن اليوم من المنافسة الاقتصادية، وشبكة المصالح الناشئة عنها، ودول الخليج طرف فيها، بسبب ما تملكه من مخزون الطاقة، النفط والغاز تحديداً، وإن كانت دولنا أدركت ذلك، ولو متأخّرة، فنوّعت من علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع الصين وروسيا وغيرهما، لكنّها ظلّت متردّدة في أن تمدّ هذا التعاون إلى مجالات أبعد لتحقيق حماية دولية أشمل وأكثر صدقيّة.

يفوق ذلك في الأهمية ضرورة تعزيز الوحدة الخليجية بوصفها الشرط الأساس لمواجهة التحدّيات الأمنية المختلفة، وهو مطلب قديم متجدّد، لكنّ العدوان الصهيوني على الدوحة لفت النظر إلى أهميته في الظروف المستجدّة التي تمرّ بها المنطقة، حيث كان المأمول أن يكون تأسيس مجلس التعاون الخليجي في عام 1981 منطلقاً نحو وحدة خليجية، فمتى نبلغ المرحلة التي نحقق فيها شعار"خليجنا واحد" بالفعل لا بالقول، عبر وحدة خليجية صلبة قوامها سياسة خارجية منسجمة، ومنظومة دفاع موحدة وفعّالة، وتأمين شروط المشاركة الشعبية في رسم القرار، فأمن أي بلد أو مجموعة بلدان متحدة، لا يمكن تأمينه، وخصوصاً وقت الشدائد، دون مشاركة شعوبها.

التقدمي

التقدمي يدين العدوان الصهيوني الإرهابي على قطر ويؤكد تضامنه مع الشعب الفلسطيني

أعرب المنبر التقدمي في البحرين عن إدانته الشديدة للعدوان الصهيوني الذي استهدف مقراً سكنياً في العاصمة القطرية الدوحة، واصفة إياه بالعمل الإرهابي والجبان الذي يمثل اعتداءً سافراً على سيادة دولة قطر وأمنها واستقرارها.

وأكد التقدمي في بيانه أن القصف جاء بينما كان وفد حركة المقاومة الإسلامية «حماس» يعقد اجتماعاً لمناقشة المقترح الأمريكي بشأن وقف إطلاق النار والإبادة الجماعية في قطاع غزة وإطلاق سراح المعتقلين، وهو ما يكشف ـ بحسب البيان ـ عن نوايا الاحتلال المبيتة لتعطيل أي مسار سلمي وتصعيد العدوان على المنطقة بدعم مباشر من الولايات المتحدة. وشدد البيان على أن هذا الاعتداء لا يعدّ فقط جريمة حرب تستوجب المحاسبة، بل يمثل أيضاً رسالة صريحة إلى الدول العربية التي اختارت مسار التطبيع، مفادها أن الكيان الصهيوني لا يعترف بالسلام ولا يلتزم بالمواثيق والأعراف الدولية، وأنه يواصل عدوانه بمنطق القوة والابتزاز والإرهاب.

ودعا المنبر التقدمي المجتمع الدولي والأمم المتحدة إلى تحمّل المسؤولية في إدانة هذا العدوان بشكل واضح وحازم، واتخاذ الإجراءات القانونية والسياسية لمحاسبة المعتدين ومنع إفلاتهم من العقاب. كما اعتبر أن الهجوم على قطر يأتي في سياق السياسة الإجرامية ذاتها التي ينتهجها الاحتلال في غزة ضد الشعب الفلسطيني، مطالباً بوقفها فوراً.

وقال البيان إن أي خطوة تطبيعية مع الاحتلال تشكل تشجيعاً مباشراً له على مواصلة جرائمه، مجدداً رفض التقدمي لما يسمى بـ"الاتفاقات الإبراهيمية"، والوقوف الكامل إلى جانب قطر حكومةً وشعباً، مشيدة بالمواقف الثابتة للشعب القطري وشعوب الخليج الرافضة للتطبيع والداعمة للقضية الفلسطينية.

المبادرة الوطنية لمناهضة التطبيع تدين العدوان الصهيوني على الدوحة

أدانت المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني العدوان الذي شنّه الكيان الصهيوني على العاصمة القطرية الدوحة واستهدف قيادات من حركة حماس، معتبرة أن هذا الاعتداء يشكّل امتداداً لحرب الإبادة المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وتهديداً مباشراً لأمن واستقرار دول المنطقة، يتم بدعم أمريكي ووسط صمت عربي وتواطؤ غربي.

وأشارت المبادرة في بيانها إلى أن استهداف دولة خليجية شقيقة يثبت أن العدو لا يقيم وزناً لأي اتفاقيات أو مواثيق، وأن استمرار العلاقات معه يعد خطأً وخطراً استراتيجياً يهدد الأمن والسلم المحلي والإقليمي. ودعت حكومة البحرين إلى الإسراع في اتخاذ خطوات عملية بقطع العلاقات مع الاحتلال وإلغاء ما يسمى بالاتفاقية الإبراهيمية، وإصدار قانون يجرّم التطبيع حفاظاً على استقلال البلاد وسيادتها.

وجاء البيان بتوقيع طيف واسع من جمعيات المجتمع المدني البحريني، من بينها: المنبر الوطني الإسلامي، رابطة شباب لأجل القدس البحرينية، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الجمعية البحرينية للشفافية، التجمع القومي الديمقراطي، جمعية الأصالة الإسلامية، جمعية الوسط العربي الإسلامي، جمعية المحامين البحرينية، جمعية مناصرة فلسطين، الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان، الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، المنبر التقدمي، تجمع الوحدة الوطنية، جمعية الاجتماعيين البحرينية، الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، جمعية أصدقاء البيئة، الاتحاد النسائي البحريني، جمعية نهضة فتاة البحرين، جمعية أوال النسائية، جمعية المرأة البحرينية، جمعية مبادرات البحرين الأهلية، جمعية الصف الإسلامي، جمعية مدينة حمد النسائية، التجمع الوطني الدستوري، وجمعية الشباب الديمقراطي البحريني، وجمعية فتاة الريف.

واختتم البيان بالتأكيد على التضامن الكامل مع دولة قطر وشعبها، ومع الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، مع الدعاء بالرحمة للشهداء والنصر للقضية الفلسطينية العادلة.

في اليوم العالمي للديمقراطية..

التقدمي: الإصلاح السياسي حاجة وطنية وفلسطين تكشف زيف المعايير الغربية

قال المنبر التقدمي في بيان له بمناسبة اليوم العالمي للديمقراطية، الذي يصادف الخامس عشر من سبتمبر من كل عام، إن الديمقراطية تمثل قيمة إنسانية عليا وحقاً أساسياً للشعوب في تقرير مصيرها وضمان العدالة والمساواة والكرامة.

وأشار التقدمي إلى أن إحياء هذه المناسبة يشكّل محطة مهمة لتسليط الضوء على الواقع المحلي، حيث تشهد البحرين تراجعات مقلقة على أكثر من صعيد، تتجلى في التضييق على المجتمع المدني والسياسي وتراجع الحريات العامة، مؤكداً أن ذلك يستوجب الانفتاح على مسار ديمقراطي حقيقي يكفل الحريات العامة وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

وأوضح التقدمي أن تعزيز الديمقراطية في البحرين يقتضي إتاحة حرية الرأي والتعبير والتنظيم والعمل السياسي والنقابي والاجتماع والتظاهر السلمي، إلى جانب التصدي للفساد ومحاسبة الفاسدين، وضمان الشفافية والمكاشفة في إدارة المال العام.

وأضاف أن غياب الرؤية الاقتصادية والاجتماعية العادلة، وتبني النهج النيوليبرالي الفاشل وغير المنتج، ساهم في تفاقم البطالة وانتشار الاعتماد على العمالة الوافدة غير المؤهلة، وهو ما يتطلب مراجعة شاملة للسياسات الحكومية بما يضع مصلحة المواطن في قلب الأولويات، ويوفر فرص العمل للخريجين ويعزز روح المواطنة المتساوية، مؤكداً أن الديمقراطية الحقيقية لا تنفصل عن العدالة الاجتماعية، وأن الإصلاح السياسي الشامل يجب أن يواكبه إصلاح اقتصادي واجتماعي يستهدف تحسين أوضاع الشباب والعمال والطبقات المتوسطة والدنيا، ويحقق تكافؤ الفرص للجميع.

«تقــدّم» تــرفض تعييــن الــرئيــس التنفيــذي الجــديــد لطيــران الخليــج

أعلنت كتلة تقدّم البرلمانية رفضها القاطع لتعيين رئيس تنفيذي جديد لشركة طيران الخليج من دون التأكد من كفاءته وقدرته على إنقاذ الشركة الوطنية من أزماتها المتفاقمة، معتبرة أن هذا التعيين يمثل استمراراً للهدر المالي والفساد الإداري، ويصل إلى مستوى يستوجب المساءلة.

وأشارت الكتلة إلى ما نشرته وكالة "بلومبيرغ" عن تعيين الرئيس التنفيذي السابق لشركة Airbaltic، الذي تمت إقالته منها بعد أن حققت الشركة تحت قيادته خسائر قياسية. ووصفت «تقدّم» الخطوة بأنها "مقلقة وخطيرة"، مؤكدة أنها ستطرح مساءلة جدية لمجلس إدارة طيران الخليج في دور الانعقاد المقبل ما لم تقدم الشركة إيضاحات مقنعة للرأي العام حول كفاءة الرئيس التنفيذي الجديد.

وشددت الكتلة على أن الناقلة الوطنية لم تعد تحتمل المزيد من التجارب الفاشلة، وأن أوضاعها الحالية تتطلب حلولاً عاجلة ومسؤولة توقف نزيف الخسائر وتنقذ الشركة من "التدمير الممنهج" الذي تتعرض له منذ سنوات، بعدما كانت في خمسينيات القرن الماضي أحد أبرز عناوين البحرين ونهضتها الاقتصادية.

وأضافت أن تعاقب الإدارات غير المؤهلة، وغياب الشفافية والمحاسبة، قادا إلى الوضع المتردي الذي وصلت إليه الشركة، على الرغم من لجان التحقيق النيابية المتعددة التي رُفعت تقاريرها وتوصياتها للحكومة بغية الإصلاح والإنقاذ.

وطالبت الكتلة الحكومة بتحمل مسؤولياتها في سرعة معالجة أوضاع طيران الخليج، وتعيين قيادات ذات كفاءة وخبرة، بدلاً من "تجريب أشخاص لهم سجل من الفشل في إدارة شركاتهم السابقة"، على حد وصفها.

وأوضحت الكتلة أن ما يضاعف القلق هو أن الرئيس التنفيذي المعيّن ارتبط اسمه بمواقف داعمة للكيان الصهيوني المحتل، في وقت يرتكب فيه الاحتلال مجازر إبادة ضد الشعب الفلسطيني في غزة، وهو ما اعتبرته الكتلة أمراً مرفوضاً ويثير استياءً شعبياً واسعاً في البحرين، مؤكدة أن هذه الخطوة ستفقد الشركة ثقة الجماهير التي تتطلع إلى عودة طيران الخليج كرمز وطني يستحق الدعم والمساندة.

فضفضة

تسليع التعليم

عيسى الدرازي

السياسات الأخيرة المتعلقة بالرسوم الدراسية في الجامعة الوطنية، خصوصاً ما يتصل بإعادة المقررات أو تمديد سنوات الدراسة، حوّلتها إلى تاجر يسعى للكسب والربح، متناسيةً ما وجدت لأجله في إتاحة التعليم العالي إلى كافة شرائح المجتمع، وهو ما بات يُشكّل معضلة يتجرعها الطلبة وأسرهم بصمتٍ ثقيل. الطالب البحريني يدفع رسوماً رمزية مدعومة في حال التزم بالمدّة النظامية للدراسة، غير أن الدعم يتبخر بمجرد أن يعيد مادة للمرة الثانية أو يضطر لتمديد فصله الدراسي، ليجد نفسه أمام أرقام مضاعفة لا تتناسب مع دخله ولا مع فكرة أن التعليم الجامعي حقّ عام.

تبرر الجامعة هذه السياسة بأنّها وسيلة لضبط الجدية الأكاديمية وترشيد الدعم الحكومي، غير أن هذا التبرير يتجاهل واقعاً أكثر تعقيداً. فمن يعيد المقرر قد يكون ضحية ظرف صحي أو اجتماعي، لا طالباً مهملاً أو متهاوناً. والطالب الذي يضطر لتمديد دراسته ليس بالضرورة عابثاً بوقته، بل قد يكون متأخراً بسبب تغيير التخصص أو ضغط ظروف خارجة عن إرادته. تحويل هذه الحالات الإنسانية إلى "مخالفة مالية" يعكس عقلية محاسبية جافة أكثر مما يعكس سياسة تعليمية عادلة.

النتيجة المباشرة لهذه القرارات هي زيادة الفجوة بين الطلبة القادرين على تحمّل الأعباء وبين أولئك الذين بالكاد يستطيعون دفع الحد الأدنى. بعض الأسر تجد نفسها أمام خيارين أحلاهما مرّ: إما التضحية بمدخراتها من أجل بقاء أبنائها في مقاعد الدراسة، أو تركهم ينسحبون قبل التخرج. والجامعة هنا تتحول من مؤسسة تمكين إلى مؤسسة إقصاء.

من حقّ الجامعة أن تبحث عن استدامة مواردها، لكن من واجبها أيضاً أن تبتكر حلولاً أكثر إنصافاً، مثل وضع معايير استثنائية للحالات الخاصة، أو توفير دعم تدريجي بدلاً من القفز مباشرة إلى الرسوم الكاملة. التعليم ليس سلعة تباع وتشترى، بل استثمار وطني في الإنسان البحريني، وأي سياسة تُحوله إلى عبء خانق تفقد معناها قبل أن تفقد مشروعيتها.

جانب من الحضور

الجمعيات السياسية في البحرين تنظّم مهرجاناً تضامنياً مع فلسطين وتدعو لقطع التطبيع

شهدت المنامة إقامة مهرجان تضامني واسع مع الشعب الفلسطيني، نظمته تنسيقية الجمعيات السياسية في البحرين بمشاركة بارزة من النقابات العمالية والاتحادات النسائية ومؤسسات المجتمع المدني، إضافة إلى فعاليات ثقافية وفنية، في تأكيد جماعي على مركزية القضية الفلسطينية ورفض كل أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني. استضافت الفعالية صالة نادي العروبة، وحظيت بدعم السفارة الفلسطينية في البحرين، وحضور نوعي من فنانين وناشطين ومناصرين للقضية.

دعوة لقطع العلاقات مع الاحتلال

ألقى المحامي عادل المتروك، الأمين العام للمنبر التقدمي، كلمة باسم الجمعيات السياسية، أكد فيها أنّ المشاركة في هذا المهرجان ليست مجرد حضور رمزي، بل هي استمرار لنهج متواصل منذ أكثر من ست سنوات تعمل خلاله الجمعيات على تنسيق مواقفها من القضايا الوطنية والعربية. وجدد المتروك مطالبة التنسيقية للقيادات السياسية بالتحرك الفوري لقطع العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الاحتلال وإلغاء كافة أشكال التطبيع، معتبراً أنّ التطبيع الثقافي والاقتصادي يمثل أخطر أشكاله لأنه يستهدف وعي الأجيال.

وأوضح المتروك أنّ جرائم الاحتلال في فلسطين، واعتداءاته على لبنان وسوريا واليمن والعراق، باتت مكشوفة للعيان، وأن تغوّل الغطرسة الإسرائيلية وصل حد الاعتداء على دولة قطر، الدولة المضيفة للمفاوضات، في محاولة لتصفية الوفد الفلسطيني المفاوض. وأكد أنّ هذا السلوك لم يكن ممكناً لولا الدعم الأمريكي والأوروبي، الذي يوفّر الحماية الكاملة للاحتلال ويمدّه بالسلاح والغطاء السياسي.

وأشار إلى أنّ هذه السياسات تأتي في سياق صراع القوى الكبرى، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى عرقلة نمو الاقتصاد الصيني وتكريس هيمنتها على موارد الطاقة في الشرق الأوسط. وحذر من أنّ أخطر ما تخشاه الولايات المتحدة وأوروبا هو قيام تحالف إقليمي مستقل يمتلك مقومات

عادال المتروك

صادق العلوي

هاشمية جمعة

يوسف المقهوي

هيثم رشدان

حسن مراد

اقتصادية وعسكرية وثقافية، الأمر الذي قد يطيح بمشروع الهيمنة الإمبريالية برمته. واعتبر المتروك أنّ الاحتلال الصهيوني يلعب الدور المركزي في مشروع تقسيم المنطقة وإضعاف دولها، مستشهداً بما خلّفته هذه السياسات من دمار في السودان وليبيا والعراق وسوريا ولبنان.

أرقام صادمة

من جهته، عرض يوسف المقهوي نائب الأمين العام للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، إحصاءات مروعة عن ضحايا العدوان الإسرائيلي على غزة. وأوضح أنّ أكثر من 64 ألف شهيد، معظمهم من الأطفال والنساء، سقطوا خلال 700 يوم من العدوان، وأن الاحتلال دمّر كلياً 38 مستشفى و833 مسجداً و163 مؤسسة تعليمية. كما ارتكبت قوات الاحتلال مئات المجازر التي أبادت آلاف الأسر، واستهدفت الطواقم الطبية والصحفيين بشكل متعمد.

وأكد المقهوي أنّ هذه الجرائم تكشف تواطؤ المنظمات الدولية الكبرى التي وقفت عاجزة، بل متواطئة، مع الاحتلال. وقال إنّ ما يحدث في غزة «يوازي الخيال»، لكنه واقع مؤلم يُبث على الهواء مباشرة، ويبرهن على أنّ صمود الشعب الفلسطيني «أشبه بالمعجزة». وأضاف أنّ عقيدة الاتحاد راسخة بأن فلسطين كل فلسطين يجب أن تعود لشعبها، وأن التنديد بكل أشكال الاحتلال والهيمنة واجب لا يسقط بالتقادم.

معاناة العمال الفلسطينيين

أمّا هيثم رشدان رئيس نقابة المصرفيين ممثلاً الاتحاد الحر لنقابات عمال البحرين، فركز

ريما صالح

على أوضاع العمال الفلسطينيين، معتبراً أنّهم «الوجه الأكثر قسوة لمعاناة الشعب الفلسطيني». وأوضح أنّ العامل الفلسطيني يبدأ يومه بعبور الحواجز العسكرية والإذلال المتكرر، بينما يعاني عمال غزة من بطالة خانقة بعد تدمير المصانع وورش العمل. وأكد أنّ عرق جبين هؤلاء العمال مخلوط بالدم، وأن صمودهم يمثل درساً في الكرامة والإباء. وشدد على أنّ تضامن الاتحاد مع عمال فلسطين ليس شعاراً، بل عهد دائم حتى تتحقق الحرية والاستقلال.

صوت المرأة البحرينية

في كلمتها، قالت هاشمية سعيد، عضو مجلس إدارة الاتحاد النسائي البحريني، إنّ النساء في البحرين كنّ دائماً في قلب الموقف الشعبي التضامني مع فلسطين. وأشادت بالبحرينيين المشاركين في «قافلة الصمود» لكسر الحصار، مؤكدة أنّ مشاركتهم رفعت رأس البحرين عالياً. وأضافت أنّ مشاهد المجازر اليومية والإبادة الجماعية تعكس عجز النظام الدولي وصمته، في مقابل تصاعد الحراك الشعبي العالمي، الذي تقوده النقابات

حسن الحداد

ومؤسسات المجتمع المدني والناشطون، دفاعاً عن القيم الإنسانية. ودعت إلى فتح المعابر ورفع الحصار فوراً، والعمل على وقف مشروع الاحتلال في تهجير الشعب الفلسطيني.

التحذير من «إسرائيل الكبرى»

من جانبه، شدّد صادق العلوي عن الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع على أنّ معركة غزة ليست معركة محلية، بل هي حرب على الأمة كلها. وقال إنّ العدوان الأخير على الدوحة رسالة خطيرة بأن الاحتلال لا يتورع عن الاعتداء على أي دولة عربية متى شاء، دون رادع.

وطالب الحكومات العربية بمراجعة سياساتها ووقف اتفاقيات التطبيع وإغلاق السفارات الإسرائيلية فوراً. وأكد أنّ المقاطعة الاقتصادية أثبتت فعاليتها في تكبيد الاحتلال خسائر كبيرة، مستشهداً بإغلاق بعض الشركات العالمية بفعل ضغط المستهلكين وحملات المقاطعة الشعبية.

نحو خطوات عملية

ألقى حسن مراد كلمة جمعية مناصرة فلسطين، التي شددت على أنّ بيانات الاستنكار وحدها لم تعد تجدي نفعاً، وأن المطلوب اتخاذ قرارات عملية مثل طرد السفراء وإغلاق السفارات ووقف كل أشكال التعاون مع الاحتلال. وأشاد مراد بالمبادرات الدولية، مثل مواقف البحارة الإيطاليين الذين رفضوا تحميل السلاح في موانئهم، مؤكداً أنّ الضمير الإنساني العالمي سبق المواقف الرسمية العربية. وخص بالذكر أبناء البحرين المشاركين في أسطول الحرية، الذين خاطروا بحياتهم نصرة لغزة.

كلمة الطفلة ريما صالح

شهد المهرجان أيضاً كلمة مؤثرة ألقتها الطفلة ريما صالح باسم أطفال البحرين، استحضرت فيها تجربتها الأولى وهي في السابعة من عمرها حين وقفت نصرة لفلسطين، مؤكدة أنّ أبناء جيلها تعلموا من «طوفان الأقصى» التمييز بين الحق والباطل. وختمت بشعار «بالروح بالدم نفديك يا فلسطين»، وسط تفاعل الحضور.

مشاركات فنية

الفعالية لم تقتصر على الخطابات، بل تضمنت أيضاً مشاركات فنية قدّمها فنانون بحرينيون من بينهم عباس الموسوي وحسن حداد، إضافة إلى أعمال لجنة «نسيج الفن»، واختتمت الفعالية بفقرة غنائية قدّمها الفنان حسن الحداد، مؤدياً مجموعة من الأغاني الوطنية، ما أعطى المهرجان بعداً ثقافياً يرسخ حضور فلسطين في وجدان الناس عبر الفن والأدب.

التقدمي ينظم ورشة عمل حول رياض الأطفال بين الواقع والتحديات

التقدمي:

نظّم قطاع المرأة في المنبر التقدمي ورشة عمل بعنوان «رياض الأطفال في البحرين بين الواقع والتحديات»، بمشاركة عدد من ممثلي الجمعيات النسائية، والمشتغلين في العمل النقابي، وبحضور نواب وناشطين في الشأن العام.

وهدفت ورشة العمل إلى تسليط الضوء على التحديات والمشاكل التي يعاني فيها قطاع رياض الأطفال ودور الحضانة، والظروف التي تُعاني منها العاملات فيه، وطرح الحلول الممكنة للنهوض بهذا القطاع وتحسين أوضاع العاملين فيه.

هاشم: تدني الأجور وعقود العمل المؤقتة وغياب التغطية التأمينية

قدّم النائب السابق فلاح هاشم ورقة عمل بعنوان (العاملون في تعليم ما قبل المدرسة) بيّن فيها أن التحديات التي يعاني منها قطاع التعليم المبكر ما قبل المدرسة (رياض وحضانات الأطفال) يراوح مكانه منذ عقود دون أية بادرة في حلحلته، ويتجلى ذلك في ما يعانيه العاملون في هذا القطاع من ظروف عمل لا تؤمن لهم حياة كريمة، لأسباب كثيرة في مقدمتها تدني الاجور وانقطاعها فترة الإجازات، واعتماد العقود المؤقتة قصيرة المدة، والحرمان من الأجر الأضافي، وعدم وجود تغطية تأمينية لعدد منهم.

ولمعالجة المشكلات أوضح هاشم أن الأمر يتطلب تشخيص أصل المشكلة وفهم طبيعتها أولا، ثم تحديد حجمها ودراسة أسبابها وجميع العوامل التي تؤثر فيها خاصة السياسات العامة والنهج المتبع في ادارة القطاع بالإضافة إلى العديد من الأمور بما فيها الفجوة بين متطلبات المعيشة وأجور العاملين في هذا القطاع، واقترح هاشم دمج قطاع رياض الأطفال ضمن التعليم الأساسي، ورفع أجور العاملات في رياض الأطفال بما يتناسب مع معدل أجور العاملين في قطاع التعليم العادي، تشجيع وزارات الدولة وشركات ومؤسسات القطاع الخاص على إنشاء دور للحضانة تابعة لمؤسساتهم لتخدم العاملين فيها، تقديم الدعم والإسناد للمؤسسات غير الربحية وتشجيعها اقتداءً بتجربة جمعيتي رعاية الأمومة ونهضة فتاة البحرين، تفعيل دور المنظمات النقابية وتمكينها من أداء واجبها في الدفاع عن العاملين في هذا القطاع وباستقلالية ووفق المعايير النقابية، بالاضافة الى تنمية الوعي الاجتماعي بأهمية الدور المناط بهذا القطاع في تأسيس وتنمية الطفولة بحيث تتحول إلى قضية المجتمع بأسره أسوة بالدول المتقدمة.

واستعرض هاشم تجارب بعض الدولة في مجال رياض الأطفال كاليابان والنرويج والمانيا واسبانيا، وقد تميزت تجارب هذه الدول بإلزامية التعليم ما قبل المدرسي، وتقديم إعانات حكومية أو بلدية لرياض الأطفال والمدارس الخاصة، ووضعً معايير صارمة لجودة المناهج، وعناية الفائقة بمؤهلات المعلميين.

ربيع: دعوة لإنشاء مجلس أعلى للأجور

من جانبه اقترح المحامي محمود ربيع إنشاء مجلس أعلى للأجور والذي يعتبر من أنجح الآليات التي تحقق رفع مستويات الأجور وتكون بمثابة رافعة مؤثرة لتحسين مستوى المعيشة للفئات الضعيفة في المجتمع. مع إمكانية تطبيق الحد الأدنى قطاعياً، ووجود نظام تفتيش قوي وتدابير لازمة لضمان التطبيق، مشيراً إلى تجربة جمهورية مصر العربية في تشكيل مثل هذا المجلس.

وأكّد ربيع أن الحد الأدنى للأجور أمر ورد في الاتفاقية الدولية رقم (131)، وهي اتفاقية لمنظمة العمل الدولية (ILO) لعام 1970، تُلزم الدول الأعضاء بتأسيس نظام لتحديد الحد الأدنى للأجور لجميع فئات العمال الذين تعتبر طبيعة عملهم مناسبة لذلك، وتهدف الاتفاقية إلى ضمان مستويات أجور تكفل احتياجات العمال وأسرهم، وتأخذ في الاعتبار الظروف الاقتصادية والاجتماعية الوطنية. كما أن التوصية رقم 135 لعام 1970 الصادرة عن منظمة العمل الدولية تؤكد على أن الحد الأدنى للأجور يجب أن يُحدَّد بناءً على الأخذ في الاعتبار الاحتياجات الأساسية للعمال وعائلاتهم، وأن تُعدَّل هذه الأجور بانتظام لمواكبة التغييرات في تكاليف المعيشة والظروف الاقتصادية. كما تهدف التوصية إلى توفير الحماية الاجتماعية للعاملين من خلال ضمان مستويات أجور دنيا كافية، وتشجع على دمج سياسات الأجور الدنيا في سياسات القوى العاملة الشاملة لمكافحة الفقر وتحقيق العمل اللائق.

تضمنت مقترحات المحامي ربيع لحل مشكلات العاملات في قطاع رياض الأطفال بحرنة هذا القطاع وقصر العمل على البحرينين فقط، أو فرض نسبة لتوظيف المواطنين مقابل الموظفين الوافدين مع احلال تدريجي بحيث يتم الاستغناء عن جزء من العمالة غير بحرينية مع تأهيل العمالية الوطنية لسد الفجوات.ا

كما بيّن ربيع أن ثمة حاجة لتعديلات قانونية كإلغاء العقود المؤقتة أو وضع مدة ادنى بحيث لا يقل سنة مثلا – أو وضع ضوابط للعمل المؤقت كحصره في بعض المهن دون غيرها، أو الحصول على تصريح مسبق من الجهة الإدارية المختصة، وتعديل المواد المتعلقة بالتعويضات القانونية عن الانهاء

غير المشروع لعقد العمل، كزيادة الحد الأدنى للتعويض وإلغاء الحد الأقصى، مع فرض عقوبات إدارية لمن يثبت قيامه بفصل عمال دون سبب مشروع كالحرمان من بعض المزايا الحكومية (دعم تمكين – الحصول على تأشيرات – الدخول في المناقصات)، واحتساب حقوق العامل على أساس الأجر الكلي أي كل ما يحصل عليه العامل لقاء عمله أياً كان نوعه، ثابتاً أو متغيراً نقداً أو عيناً، ويشمل الأجر الأساسي وملحقاته من العلاوات والبدلات والمنح والمكافآت والعمولات والمزايا الأخرى.

واختتم ربيع ورقته بالقول أن الحركة النقابية مطالبة بتقديم مرئياتها في هذا الحقل وأن تكون مساهمة بفعالية في متابعة مثل هذه الاتفاقيات والعهود الدولية، المتعلقة بالاتفاقيات المرتبطة بمواثيق حقوق الإنسان من محورها الخاص بالعمل والأجور.

عبدالجبار: مئات من العاملين في رياض لأطفال لا يشملهم الضمان الاجتماعي

كما قدمت أمينة عبد الجبار رئيسة نقابة العاملين في رياض الاطفال ودور الحضانة سابقاً ورقة بعنوان (عاملات رياض الاطفال الانجازات والحلول المستقبلية) أشارت فيها فيها عدم تطبيق القوانين في قطاع رياض الأطفال خاصة ما يتعلق بحقوق العمل ومنها حق العاملين في الحماية الأجتماعية عبر تأمين التأمين الاجتماعي لهم، وهذا ما كشفت عنه أزمة انفلونزا الخنازير خلال سنة 2010 حينها أُكتشف ان هناك أكثر من 700 من العاملين في رياض الاطفال غير مسجلين في التأمينات الاجتماعية رغم عملهم لسنوات طويلة، كما كشفت أزمة كورونا الأخيرة أن هذه المشكلة لازالت تُراوح مكانها.

واقترحت عبدالجبار إيجاد حلول جذرية لمعالجة مشكلة هذا القطاع الحيوي والذي يُعاني لأكثر من ثلاثين عاماً وذلك عبر تقديم الدعم الحكومي اللازم، وضبط إيجارات المؤسسات التعليمية، والعمل على تأمين حقوق العاملات في القطاع من الناحية المعيشية والتقاعدية، والتحفيز على دراسة برامج التعليم المبكر خصوصاً علم نفس الطفل، طرق التدريس، تنمية المهارات الاجتماعية والعاطفية وذلك بهدف خلق كفاءات مهنية.

نقاش واسع حول أهمية تحسين أوضاع العاملين

شهدت الندوة نقاشاً واسعاً بين الحضور والمتحدثين حول أهمية تحسين أوضاع العاملين في قطاع رياض الأطفال، وأهمية مرحلة ما قبل الدراسة الالزامية من الناحية التربوية والتعليمية للأطفال، ودراسة تجارب الدول الأخرى في الاهتمام بهذا القطاع.

وفي ختام الورشة ، شدد المنبر التقدمي على أن تنظيم مثل هذه الفعاليات يأتي ضمن دوره الوطني في تسليط الضوء على المشكلات التي يعاني منها المواطنين بشكل عام، وخلق مساحة حوار ورأي في سبيل لمعالجة أوضاع العامين في مختلف القطاعات الانتاجية.

المنبر التقدمي ينظم ندوة حول أساليب الاحتيال الإلكتروني وسبل الوقاية

نظم المنبر التقدمي بمقره ندوة بعنوان «أساليب الاحتيال الإلكتروني»، شارك فيها مختصون في المجالين التقني والقانوني إلى جانب مهتمين بالشأن الإعلامي. هدفت الندوة إلى رفع مستوى الوعي المجتمعي بمخاطر الجرائم الإلكترونية التي تشهد تزايداً ملحوظاً، وطرح الحلول الكفيلة بالتصدي لها.

وأشار المحامي محمود ربيع إلى أن البحرين كانت من الدول السباقة في إصدار تشريعات لمكافحة هذه الجرائم، مشيراً إلى قانون جرائم تقنية المعلومات رقم (60) لسنة 2014 الذي وضع تعريفات دقيقة للجرائم الإلكترونية وحدد عقوبات رادعة تراوحت بين الغرامة والحبس حتى عشر سنوات، فضلاً عن آليات جمع الأدلة الرقمية وإجراءات المحاكم المختصة. وبيّن أن طبيعة هذه الجرائم عابرة للحدود وتتطور باستمرار، مما يتطلب تحديثاً دائماً للتشريعات والتدابير الوقائية.

من جانبه، أوضح الخبير الاقتصادي مشعل الذوادي، مؤسس الحملة الوطنية حصّن نفسك من الاحتيال الإلكتروني، أبرز أساليب الاحتيال التي يعتمدها المحتالون، مثل الرسائل الاحتيالية (Phishing)، انتحال الهوية، سرقة البيانات، والقرصنة المالية، إضافة إلى محاولات استدراج الضحايا عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي. وأكد على ضرورة اتباع إجراءات وقائية كاستخدام برامج الحماية، وتفعيل خاصية التحقق بخطوتين، والحذر من الروابط والمواقع المشبوهة، وعدم الإفصاح عن المعلومات البنكية.

كما تطرق الذوادي إلى الأساليب النفسية التي يوظفها المحتالون لاستغلال ثقة الأفراد ورغبتهم في المكاسب السريعة، مستعرضاً نماذج واقعية واجهتها الحملة الوطنية.

وشهدت الندوة نقاشاً موسعاً بين الحضور والمتحدثين حول أهمية نشر الثقافة الرقمية وتعزيز الوعي الأمني خصوصاً لدى فئة الشباب الأكثر استخداماً للتقنيات الحديثة. وأكد المتحدثون على ضرورة التبليغ الفوري عن أي محاولات مشبوهة، والتعامل مع المنصات الرسمية المعتمدة فقط.

تقرير التأمينات: البحرينيون يشكلون ربع القوى العاملة ومتوسط الأجر 951 ديناراً

كشف تقرير صادر عن هيئة التأمينات الاجتماعية للربع الثاني من عام 2025 أن سوق العمل في البحرين يضم نحو 626 ألفاً و670 موظفاً، يشكل البحرينيون منهم 156 ألفاً و405 موظفين أي ما نسبته 25٪ فقط من إجمالي القوى العاملة، فيما يستحوذ الأجانب على 75٪ بواقع 470 ألفاً و265 عاملاً.

وأشار التقرير إلى أن القطاع العام يستوعب 33٪ من البحرينيين (51،370 موظفاً)، بينما يعمل 67٪ منهم في القطاع الخاص (105،035 موظفاً)، ما يعكس اعتماداً أكبر على فرص العمل في القطاع الخاص بالنسبة للعمالة الوطنية.

من حيث الرواتب، أظهرت البيانات أن 26٪ من البحرينيين يتقاضون ألف دينار فأكثر، وعددهم 40،471 فرداً، يتوزعون بين 25،300 في القطاع الحكومي و15،171 في القطاع الخاص. أما الشريحة الأكبر فهي من يحصلون على رواتب بين 200 و599 ديناراً وتشكل 46٪ من البحرينيين (72،361 موظفاً)، أغلبهم في القطاع العام.

أما الفئات المتوسطة، فيتقاضى 15٪ من المواطنين رواتب بين 600 و799 ديناراً، و11٪ بين 800 و999 ديناراً.

وفيما يخص متوسط الأجر الشهري، بلغ 951 ديناراً للبحريني، موزعاً إلى 975 ديناراً في القطاع العام (1020 ديناراً للذكور و939 ديناراً للإناث)، مقابل 895 ديناراً في القطاع الخاص (988 ديناراً للذكور و729 ديناراً للإناث).

ولفت التقرير إلى أن متوسط الأجر يختلف بوضوح حسب الفئة العمرية، حيث يتقاضى البحرينيون فوق سن 60 عاماً أعلى الرواتب بمتوسط 1747 ديناراً، فيما ينخفض المعدل إلى 555 ديناراً لمن هم بين 20 و29 عاماً، و350 ديناراً فقط لمن هم دون العشرين.

أما بالنسبة للعمالة الأجنبية، فأوضح التقرير أن متوسط رواتب الإناث الأجنبيات يتفوق على الذكور بواقع 356 ديناراً مقابل 259 ديناراً. كما أن النساء الأجنبيات لا يشكلن سوى 10.4٪ من إجمالي العمالة الأجنبية (49 ألف موظفة)، مقارنة بـ 421 ألف عامل أجنبي من الذكور. وأكد التقرير أن نسب المشتركين في التأمينات ارتفعت خلال السنوات الخمس الماضية بنحو 7٪، في دلالة على نمو ملحوظ في أعداد القوى العاملة بالقطاعين العام والخاص.

«أخبار الخليج» – 2025/9/13

نقابة عمال أسري تضع قضية الفصل التعسفي في صدارة أولوياتها

تابعت نقابة عمال أسري خلال اجتماعها الأسبوعي برئاسة نائب رئيس النقابة حسين جواد، قضية الفصل التعسفي التي شهدتها الشركة مؤخرًا، معتبرة أن هذه القضية تمثل أولوية قصوى لما تحمله من تأثير مباشر على الاستقرار الوظيفي والمعيشي للعمال.

وتعود واقعة الفصل إلى يوليو الماضي، وأشار مسؤولو النقابة إلى أنهم بادروا منذ وقوع الحادثة بالتواصل مع وزارة العمل والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين من أجل التدخل وحلحلة الموضوع، مؤكدين رفضهم المطلق لأي إجراءات إدارية تعسفية يمكن أن تُقوّض الثقة بين الإدارة والعمال.

وشددت النقابة على أن حماية حقوق العمال وصون الأمان الوظيفي تمثل مطلبًا أساسيًا، داعية إدارة الشركة إلى اعتماد الحوار والتفاوض كخيار وحيد لتسوية الخلافات بعيدًا عن الإجراءات التعسفية، حفاظًا على سمعة الشركة واستقرارها الإنتاجي.

حظر العمل وقت الظهيرة بين النص القانوني والتطبيق الواقعي

يُعدّ قرار حظر العمل تحت أشعة الشمس المباشرة خلال الظهيرة من 15 يونيو إلى 15 سبتمبر خطوة أساسية لحماية العمال من مخاطر الإجهاد الحراري، لكنه ما زال يواجه تحديات في التنفيذ على أرض الواقع.

رغم إعلان بعض الشركات التزامها بإعادة تنظيم ساعات العمل وتوفير وسائل حماية، لا تزال هناك مواقع يُشاهد فيها عمال يزاولون أعمالهم وقت الحظر، أحيانًا عبر الالتفاف على التعريف القانوني لـ «الأماكن المكشوفة»، كما أن ضعف الرقابة وغياب بيانات شفافة عن المخالفات يثيران تساؤلات حول مدى فعالية تطبيق القرار.

يلاحظ كذلك نقص المرافق الداعمة في بعض مواقع العمل، مثل أماكن الاستراحة المظللة أو المياه المبردة، ما يجعل من الحظر إجراءً غير مكتمل الأثر. ورغم أن بعض أصحاب العمل يرون فيه عبئًا اقتصاديًا يعرقل وتيرة المشاريع، فإن حماية صحة العمال تبقى الأساس، إذ أن بيئة عمل آمنة أكثر إنتاجية واستقرارًا على المدى الطويل.

القرار يظلّ ضرورة في مناخ صيفي قاسٍ، لكن نجاحه مرهون بصرامة الرقابة وتوفير ظروف واقعية تضمن أن يصبح حماية العمال حقيقة ملموسة لا نصًا شكليًا.

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

العمل الدولية: النساء ما زلن يتقاضين أجوراً أقل من الرجال

بمناسبة اليوم الدولي للمساواة في الأجور، أكدت منظمة العمل الدولية أن مبدأ «الأجر المتساوي لقاء العمل ذي القيمة المتساوية»، المنصوص عليه في دستورها وفي الاتفاقية رقم (100)، ما زال بعيدًا عن التطبيق الكامل رغم مرور أكثر من مئة عام على إقراره.

وأظهر البيان أن الفجوة في الأجور بين الجنسين لا تزال قائمة عالميًا، حيث تكسب النساء في المتوسط 77.4 سنتًا مقابل كل دولار واحد يتقاضاه الرجال عن العمل نفسه أو العمل ذي القيمة المماثلة.

وأشارت المنظمة إلى أن جذور هذه الفجوة تعود إلى التمييز في التوظيف والترقية، والأعباء غير المتكافئة للرعاية المنزلية، إضافة إلى التركز في وظائف منخفضة الأجر غالبًا ما تُسند تقليديًا للنساء، فضلاً عن التقييم غير العادل للوظائف التي تشغلها العاملات.

ودعت منظمة العمل الدولية الحكومات وأصحاب العمل والنقابات إلى تحويل الالتزامات إلى أفعال من خلال سياسات عملية تشمل تعزيز شفافية الأجور، وإجراء تدقيقات دورية للأجور، وتحسين البنية التحتية للرعاية الاجتماعية، وضمان تقاسم عادل لمسؤوليات الأسرة والعمل. كما شددت على أن التطورات التكنولوجية والرقمنة والذكاء الاصطناعي يمكن أن تمثل فرصة لتقليص الفجوة إذا أُديرت عبر سياسات شاملة، لكنها قد تزيدها اتساعًا إذا أُهملت.

واختتم البيان بالتأكيد على أن تحقيق المساواة في الأجور يمثل خطوة أساسية نحو عدالة اقتصادية واجتماعية أكبر، داعيةً إلى تسريع الجهود الدولية لضمان أن تصبح هذه المساواة واقعًا ملموسًا.

«طيـــــران الخليـــج» .. إلـــى متـــى؟!

ربما لم تحظ شركة من شركاتنا الوطنية بمثل ما حظيت به شركة طيران الخليج، ناقلتنا الوطنية من اهتمام ومتابعة، على المستويين الشعبي والرسمي، فهذه الشركة التي ابتليت وعلى مدى عقود طويلة بوجوه عديدة من الإهمال المترافق مع الفسادين الإداري والمالي، وسط تبدل إدارات وطواقم تنفيذية، كثيراً ما أخفقت في إعادة شيئ من مجد هذه الشركة التي تأسست في البحرين مطلع خمسينيات القرن الماضي، وكانت يوماً شركة عملاقة بحق، تمثل أربع دول خليجية هي البحرين، قطر، وابوظبي وسلطنة عمان، وبعد ما جرى من تحولات إقليمية واقتصادية أصبحت مملوكة بالكامل لمملكة البحرين. ومع تحولات الزمن واحتدام اجواء المنافسة اقليميا وقارياً، اصبح من المنطقي واالضروري أن تتجه طيران الخليج نحو الأسواق الإقليمية والدولية باستراتيجيات تسويقية وتشغيلية مختلفة، تأخذ في الاعتبار العديد من عوامل المنافسة وتحولات صناعة شركات الطيران والسفر.

عبد النبي سلمان

إلا أن الملاحظ أن الإدارات المتعاقبة على ادارة الشركة، وبشهادة الجميع أخفقت اخفاقاً ذريعاً في الاستفادة على الأقل مما راكمته من خبرات بشرية ومادية وفنية، وكان عليها على الدوام ومع قدوم كل رئيس تنفيذي جديد ان تبتدع شعارات وتوجهات جديدة يتمّ الترويج أنها ستنقذ الشركة من عثراتها المتكررة، سرعان ما تنسى، لنكتشف وبكل أسف أنها فقط تحمل عناوين بائسة تزيد اكثر من محنة الشركة، حيث مراكمة الخسائر وفقدان العديد من كوادرها البشرية المدربة، وقلّة حيلة مجالس اداراتها المعينة وطواقمها التنفيذية، التي تميزت بشكل عام، أنها كانت في موقع المتلقي وليس الفاعل أو المبتكر لتوجهات جديدة، من شأنها استعادة ولو شيئا من مجدها الذي بددته تلك الإدارات الفاسدة والمتسيبة والعاجزة، التي زادت من محنة الشركة وراكمت مديونيتها العالية، حيث اضطرت الحكومة أكثر من مرة أن تضخ مئات الملايين فيها، ومن مصادر تمويلية مختلفة، وكلما دعت الحاجة لذلك، تحت عناوين مثل إنقاذ الشركة من واقعها أو الحفاظ على العمالة الوطنية فيها أو حتى إعادة الشركة للربحية..إلخ.

الجدير ملاحظته هنا أن طيران الخليج كشركة طيران، من المفترض أن تكون هي المشغل الرئيس لمطار البحرين الدولي، الذي بات هو الآخر يشكو كثيراً خلال السنوات الأخيرة من تراجع كبير في عملياته التشغيلية جراء تراجع حركة الترانزيت من وإلى البحرين، خاصة بعد أن هجرته شركات طيران دولية مهمة، وجدت ضالتها في ما تشهده مطارات دول المنطقة من نشاط وحركة سفر وطيران قوية ومستمرة!

وأمام أوضاع مثل هذه تابعنا الكثير من وجوه التخبط الإداري وحتى الفوضى في القرارات، وعلى مستوى فتح الخطوط التي تغلق وتفتح لأسباب غير مفهومة او حتى مدروسة، إضافة طبعا إلى ما خلقته الأجواء السياسية في المنطقة من انعكاسات سلبية على قرارات الشركة وخططها التشغيلية، يضاف إليها بكل تأكيد صعوبة الأوضاع المالية القائمة التي تحدّ كثيراً من أي فكرة للتوسع وفتح خطوط جديدة!

كل ذلك وغيره يمكن فهمه، ونتفاعل معه، لكن الشيء الذي يصعب فهمه هو الإصرار على المضي في سلسلة قرارات متخبطة تزيد من حدّة تراجع الشركة وتقلص ما تبقى لها من تنافسية مرجوّة، ونذكر هنا أن التعيينات في المناصب العليا بالنسبة للإدارة التنفيذية أخذت وجوهاً غير مقبولة وحتى مفهومة من التخبط، ويمكننا القول إن طيران الخليج لم تشهد استقراراً إدارياً على الأقل خلال العقدين الأخيرين، فقد شهدنا استقدام رؤساء تنفيذيين من مختلف بقاع الأرض، ميزتهم الوحيدة أنهم فشلوا في ادارة شركات مهمة في بلدانهم، ووصل الأمر ببعضهم أن يطردوا من شركاتهم السابقة بعد أن افلست، ومن ثم اغلقت أبواب البعض منها، فيما البعض الآخر منهم طرد بالفعل بسبب ما راكمه من خسائر اضطرت المسؤولين في تلك البلدان للمسارعة في التخلص منهم.

آخر هولاء من اعلن عن تعيينه مؤخرًا رئيسا تنفيذيا جديدً لطيران الخليج سيبدأ مهمته في شهر نوفمبر من هذه السنة، وبالطبع نحن لا نعرف هذا الشخص وقدراته ومدى كفاءته، لكننا تابعنا ما كتب ويكتب عنه في بلده، كما تابعنا بعضا من مواقفه وتوجهاته التي كان من المفترض أن تدرس جيدا، قبل مجرد التفكير في استقدامه، ولنا كل الحق أن نتساءل كيف تمّ اختياره وما مدى كفاءته وما الذي بإمكانه أن يقدّم لطيران الخليج وهو الذي للتو طرد من منصبه في شركته بسبب الخسائر غير المسبوقة التي حدثت في عهد؟!

اكثر ما يثير في الأمر هو الإعلان الصادر عن مجلس ادارة طيران الخليج والذي جاء ردا على بيان كتلة «تقدّم» البرلمانية وفي ذات اليوم، من ان الرئيس التنفيذي هذا يمتلك سجلاً عظيماً في إدارة شركات الطيران وخبرات عالمية في عودة الشركات للربحية، علاوة على أنه سوف يهيء لتدريب كفاءاتنا الوطنية!

نتساءل، عن اي خبرات عالمية يمكننا الركون اليها ؟ وعن أي ربحية كان قد أعادها وهو المطرود للتو بسبب مراكمة الخسائر لشركته تلك؟! أو لم نقل ذات الشيء عن امكانيات سلفه ومن جاء قبله؟! وأيضاً نتساءل هل بالفعل نحتاج نحن في البحرين لمن يأتي من شركات مفلسة ومكسورة ليدرب أبناءنا من العاملين في طيران الخليج، الشركة التي لديها رصيد بارز من الكفاءات المتميزة، التي وبشهادة الجميع أسست وبنت وأسهمت في قيام شركات إقليمية عملاقة ورابحة خارج حدودنا، فقط لأنها أعطيت الثقة والتقدير واطلقت قدراتها لتبدع وتصنع مجدها وتمارس كفاءتها بكل حرية خارج الحدود؟!

اسئلة وتوجسات أبثها هنا باعتباري مواطناً، بالدرجة الأولى، وأحد المهتمين والعاملين والمتدربين سابقا في طيران الخليج، وكذلك باعتباري رئيس إحدى لجان التحقيق البرلمانية في أوضاع هذه الشركة المنكوبة بكل أسف، بفعل ما يتخذ من قرارات غير مدروسة لا يفهم منها أحياناً إلا أنها قرارات مدمرة لا تساعد أبدا على إصلاح الأوضاع في ناقلتنا الوطنية، وعلينا أن نعيد نطرح السؤال المتكرر .. إلى متى يا طيران الخليج؟!

ما يتخذ من قرارات غير مدروسة لا يفهم منها أحياناً إلا أنها قرارات مدمرة لا تساعد أبدا على إصلاح الأوضاع في ناقلتنا الوطنية

بصراحة

ابن الطبقة العاملة أحمد سند البنكي يسأل:

هـل تعـود لنـا الـزيادة السنـويـة ٣٪؟

نظّم ملتقى التقدمي يوم الأحد، الثالث من أغسطس ٢٠٢٥، ندوة بعنوان (الصناديق التقاعدية.. الهواجس وبواعث القلق ... والتساؤلات المشروعة)، تحدّث فيها د.حسن الماضي، العضو السابق في مجلس إدارة التأمينات الاجتماعية، والأستاذ علي سبت نائب رئيس مجلس إدارة جمعية «خبرة» البحرينية، واثناء المناقشة التي تلت مداخلات المحاضرين، وقف النقابي السابق أحمد سند البنكي «أبو بدر»، ابن الطبقة العاملة وسأل بشكل عفوي: هل تعود لنا الزيادة السنوية ٣ ٪؟. كرَّر البنكي سؤاله للمتحدثين مرتين، وهما ليسا عضوين في مجلس النواب وليسا ممثلي هيئة حكومية معينة، ولا مجلس إدارة الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي.

كان الرفيق أحمد البنكي ينتظر رداً على سؤاله هذا شأنه شأن المتقاعدين البحرينيين، وبالأخص أصحاب الرواتب المتدنية، ينتظرون الزيادة السنوية كل عام، كونه، أي البنكي، نموذجاً لأولئك البسطاء الكادحين والعمال من أبناء شعبنا الذين قدّموا لهذا الوطن تضحيات كبيرة، والوطن اليوم يستكثر عليهم الزيادة السنوية، علماً بأنها ضيئلة جداً مقارنة بما يحصل عليه أقرانهم في الدول المجاورة، فالمتقاعدون خدموا لسنوات طويلة، ولكن أوضاعهم المعيشية صعبة، خاصة منهم المتقاعدون الذين لا تتجاوز رواتبهم أربعمائة دينار بل وتقلّ عن ذلك لدى للبعض منهم، ولديهم أسر يريدون توفير حياة كريمة لها، ولكن وضعهم الصعب يقف عائقاً، فعليهم دفع فواتير الكهرباء والماء ومصاريف العائلة الأخرى، ورسوم المدارس والجامعات، فيما تتزايد عليهم الديون المالية ولا يستطيعون تسديدها، والبعض منهم يعتمد على مساعدات الجمعيات الخيرية وهي قليلة، ولا يحصل عليها الجميع، والبعض ابتلى بالأمراض مع تقدّم أعمارهم، وهناك أدوية لا تتوفر في المستشفيات والمراكز الحكومية، عليهم شراؤها من الصيدليات الخاصة وبأسعار باهضة.

والطامة الكبرى عندما يوجد لدى هؤلاء المتقاعدين أبناء وبنات خريجون جامعيون ولكنهم عاطلون عن العمل منذ سنوات، وعليهم الصرف على هؤلاء الأبناء العاطلين، في الوقت الذي تستقدم فيه العديد من الوزارات والدوائر والشركات الحكومية عمالة وافدة من الخارج وتعلن عن ذلك في صحافة العديد من البلدان العربية والآسيوية.

إنه واقع مرير يعيشه المواطنون المتقاعدون، الذين خدموا الدولة لعقود وبنوا البحرين الحديثة، ما يتطلب من الحكومة أن تعيد النظر في قراراتها بشأن أوضاعهم، وفي مقدمة المطلوب إعادة الزيادة السنوية المتواضعة 3٪ التي جرى إيقافها عملاً بنصائح المنظمات المالية الدولية التي لا تعنيها احوال الناس. وعلى النواب مناقشة الموضوع من جديد في دورة انعقاد دور الانعقاد في أكتوبر 2026، فما تمَّ إلغاؤه بقانون يرجع بقانون، فهل تعود الفرحة والسعادة إلى النقابي المخضرم المتقاعد «أبو بدر» وسائر المتقاعدين؟

هناك تساؤلات مشروعة حول الوضع الخطر لهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، المعرضة للإفلاس في السنوات القادمة، فلا تعود لديها أموال لكي تدفع رواتب المتقاعدين، وبالمقابل هناك تساؤلات حول وضع الاستثمارات والمشاريع التجارية للهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، وكيفية الاستفادة منها، بالإضافة إلى أموال بملايين الدنانير لازالت خارج التأمين الاجتماعي، وتمَّ ذكرها مرات عديدة من بعض أعضاء مجلس النواب، فما مصير تلك الأموال؟، هل ستعود إلى أصحابها المتقاعدين؟

تتحمل مجالس الإدارات المتعاقبة على هيئة التأمين الاجتماعي طوال السنوات الماضية جزءاً كبيراً من المسؤولية عما آلت إليه الأوضاع السيئة لمنظومة التقاعد، حيث الجميع يعلم أن أموال المواطنين المتقاعدين يغرف منها منذ تسعينيات القرن الماضي، وما يخرج من الأموال لا يعود. وهناك أطراف عدة في الدولة تتحمل، بدورها، مسؤولية الإخفاقات، خاصة مع غياب الشفافية في ملف التأمين الاجتماعي وسواه من ملفات، والتجربة تؤكد أنه اينما وجدت أزمة عميقة فاعرف بأن سببها الفساد، وما أدراك ما الفساد.

فاضل الحليبي

تتحمل الإدارات المتعاقبة على هيئة التأمين الاجتماعي طوال السنوات الماضية جزءاً كبيراً من المسؤولية عما آلت إليه الأوضاع السيئة لمنظومة التقاعد

العمـل اللائق... بفـرص عمــل للجميــع وبأجــور عــادلــة

فلاح هاشم

تُعرّف منظمة العمل الدولية مفهوم «العمل اللائق» بأنه تعزيز الفرص للنساء والرجال للحصول على عمل لائق ومنتج في ظروف من الحرية والإنصاف والأمن والكرامة الإنسانية، وذلك وفق تقرير الأمين العام لمنظمة العمل الدولية خوان سوموفيا عام 1999. ومن أهم ركائز هذا المفهوم توفير فرص عمل بأجر يؤمن معيشة كريمة للعامل وأسرته، إضافة إلى تأمين حماية اجتماعية، وتعزيز الحوار بين الشركاء الاجتماعيين، والالتزام بالمعايير والمبادئ والحقوق الأساسية في العمل، والتي تشمل القضاء على جميع أشكال العمل الجبري، وعمل الأطفال، والتمييز في الاستخدام والمهنة.

هذا التعريف يتقاطع مع ما نص عليه الهدف الثامن من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، الذي يدعو إلى تعزيز النمو الاقتصادي المستدام والشامل، وتوفير عمالة كاملة ومنتجة، وإيجاد عمل لائق للجميع. كما يسعى إلى تحسين الإنتاجية الاقتصادية، وتشجيع الابتكار وريادة الأعمال، ومكافحة العمل القسري والاتجار بالبشر.

من هنا، يصبح ضمان فرص عمل تحقق دخلاً عادلاً، وتوفر الأمن في مكان العمل، والحماية الاجتماعية للمواطنين، وتكفل مستقبلاً أفضل لتطوير الذات والاندماج الاجتماعي، مهمة أساسية يتوجب على الدولة الاضطلاع بها لجميع مواطنيها وفي مختلف القطاعات.

لكن عند مراجعة مستوى الأجور في البحرين مقابل تكاليف المعيشة المتنامية، نجد أن هذه الركيزة غير متوافرة لقطاع كبير من المواطنين، خصوصاً العاملين في القطاع الخاص. ورغم ما تؤمنه أو تساهم به أنظمة الحماية المختلفة، وفي مقدمتها برامج "تمكين" التي دعمت عشرات الآلاف من العاملين في هذا القطاع على مدى نحو عشرين عاماً، إلا أن الواقع يكشف عن اختلالات تتطلب مواجهة ومعالجة موضوعية.

فالدعم الذي تقدمه "تمكين"، رغم أهميته واستمراره في الغالب لثلاث سنوات، لم ينجح في توفير فرص عمل مستدامة، بل غالباً ما يتم تسريح العاملين مع اقتراب انتهاء فترة الدعم، ليعود هؤلاء إلى البطالة ومصاعبها. في المقابل، يعمد بعض أصحاب الأعمال إلى تشغيل آخرين من جديد طمعاً في استمرار الدعم دون تحمل أي مسؤولية.

والمفارقة أن بعض هؤلاء، ومعهم عدد من أعضاء السلطة التشريعية، يطالبون بزيادة هذا الدعم بدلاً من إصلاح الخلل، ناهيك عن عمليات التحايل التي كشفتها التحقيقات النيابية والقضاء في الفترة الأخيرة.

لقد أثبتت سياسات دعم الأجور قصورها في تأمين فرص عمل مستدامة وبأجور عادلة، ما يستدعي التفكير في بدائل أكثر جدية وعملية. وفي هذا السياق، يمكن الاستفادة من معايير العمل الدولية، كما فعلت معظم دول العالم، ومن بينها مصر وتونس والأردن، حين أقرّت تشريعات للحد الأدنى للأجور وتوحيده بين القطاعات دون تمييز.

ترك الأجور لما يسمى قوى السوق – أي العرض والطلب – كما هو حاصل الآن، يجعل العمل سلعة تحدد قيمتها بقدر الأرباح التي يسعى إليها أصحاب الأعمال.

وما يتبع ذلك من إجراءات لخفض التكاليف، بما فيها خفض أجور العمال ومنافعهم إلى مستويات متدنية، يفاقمه غياب تشريع ملزم يضمن حداً أدنى للأجور يتناسب مع تكاليف المعيشة المتصاعدة.

وبـدون هذا التشريع، تتآكل القدرة الشرائية للأجور الحقيقية، ويُحرَم العامل من معيشة كريمة، ويتحول العمل إلى مجرد سلعة بلا قيمة اجتماعية، مع ما يترتب على ذلك من تبعات تهدد الاستقرار الاجتماعي وتعمّق الفجوة بين الطبقات، وتضعف الحوافز على الإنتاجية.

إن الحد الأدنـى للأجور يشكل ضمانة أساسية لحصول كل عامل على دخل معقول يحول بينه وبين الفقر، ويحمي حقوق العمال، ويعزز الاستقرار الوظيفي، ويحد من البطالة والفصل التعسفي والتدوير الوظيفي.

كما يساهم في تضييق فجوة الدخل بين المواطنين، ويدعم أنظمة الحماية الاجتماعية الرسمية والأهلية، بما يخفف من وطأة الفقر والتفاوت الاجتماعي، ويحقق العدالة الاجتماعية.

ختاماً، وفي ظل توجه البحرين – كما نصت أكثر من خطة عمل حكومية – إلى جعل القطاع الخاص المحرك الأساسي للاقتصاد، وتقليص حجم القطاع الحكومي عبر الخصخصة أو التشغيل من الباطن (Outsourcing)، يصبح من غير المنطقي إقناع المواطنين بالتوجه إلى العمل في القطاع الخاص من دون توفير أجور وضروف عمل لائقة ومساوية لما هو معمول به في القطاع الحكومي. فكيف يمكن أن يكون القطاع الخاص قاطرة الاقتصاد، وهو اليوم يعاني من أجور متدنية، وفرص عمل غير مستدامة، وغياب استقرار وظيفي وتطور مهني، إضافة إلى اعتماده شبه الكلي على الدعم الحكومي من دون خطة واضحة لفطامه أو إلزامه بمسؤولياته الاجتماعية.

عند مراجعة مستوى الأجور في البحرين مقابل تكاليف المعيشة المتنامية، نجد أن هذه الركيزة غير متوافرة لقطاع كبير من المواطنين

الحد الأدنى للأجور يشكل ضمانة أساسية لحصول كل عامل على دخل معقول يحول بينه وبين الفقر، ويحمي حقوق العمال، ويعزز الاستقرار الوظيفي، ويحد من البطالة والفصل التعسفي والتدوير الوظيفي

بحثاً عن الزمن المفقود

في سيرة حياة المناضل أحمد حميدان

هذا الموضوع لا يتعلق بل لا يخصّ على الإطلاق مارسيل بروست وروايته بذات العنوان والمجلدات السبعة التي كرسها لكتابة هذه الرواية، بل بالمهرجان الإحتفالي الذي أقيم في نادي العروبة بتاريخ ١٣ سبتمبر ٢٠٢٥ بمناسبة رحيل الفقيد المناضل أحمد حميدان.
الكتيب الذي وزع على الحاضرين ويحمل بين دفتيه مجموعة مقالات عن الفقيد وملحق صور، كان كفيلا بتعريفنا بهذه القامة النضالية الرفيعة التي لم نعرف عنها إلا أقلّ القليل، لما لصاحب السيرة من تكتم شديد عن سرد محطات تاريخ سيرته ونضاله، ولما لتواضعه الجم من ذكر أي من تلك البطولات والعمل المضني الذي قام به في مرحلة مبكرة من حياته.

حميد الملا

المجموعة التي قامت على هذا العمل الجليل (مجموعة محبي أحمد حميدان) رغم الصعاب التي لاقتها استطاعت بالصبر والعزيمة والهمة والمثابرة أن تحصل على بعض مما كان يجب أن يُكتب عن هذا المناضل، الإنسان النبيل الذي "رحل مختنقاً بألف كلمة ولم يسعه أن يقولها" على حد تعبير إبنته دانه حميدان في الكلمة التي ألقتها نيابة عن العائلة.

الكلمات التي لم يقلها والدك يا دانة قد تكون، على ما أظن، أغلى من كل الكلمات التي لم تُقل بعد، والكلمات التي سترددينها العمر كله قد كتبها مرة واحدة وإلى الأبد وهي سرّه المدفون في أعماق قلبه، فالحياة ومضة سريعة لكنها كافية لأن تجود علينا بالقليل من تلك الأسرار. فجملة واحدة قالها لكم تستطيع أن تعبر عن فكرة كبيرة، وكلمة واحدة تستطيع أن تعبر عن عاطفة كبيرة، ومشهد واحد ذكره لكم عن حياته يستطيع أن يعبر عن الحدث كله.

زمن أحمد حميدان وأحمد الشملان وسواهما زمن مفقود، لقد شتتهم القدر في بلدان مختلفة عبر البحار. ووراء الجبال بعيداً عن أرض وطنهم. نفوس عظيمة معذبة واجهت العناء في حياتها ووقفت ضد الظلم والقدر بصلابة، وإن بحثنا عن شذرات منها من بعض ممن عاصروهم وكتبوا ما عرفوه عنهم، ولكن ليس كل ما يقال الا تعبير عن كاتب المقال أو الإطروحة، ولذلك تأتي هنا أهمية أن يدوّن المناضلونن سيرهم حتى لا يعبث بها الآخرون، فحيواتهم صيغت من حيوات رفاق آخرين قدّموا الغالي والنفيس لوطنهم ولشعبهم ولم يطلبوا شيئاً لأنفسهم على الرغم من قسوة الحياة وظروف المعيشة الصعبة.

الكتيب الذي قامت على إصداره مجموعة محبي أحمد حميدان فتحت لنا كوّة لمعرفة المزيد، ولكن للأسف لم نتمكن من معرفة الكثير عنه من رفاق له رحلوا ولم نسمع منهم شيئاً عن هذا المناضل الفذ، الاّ النزر اليسير، فالسيرة العطرة لهذا الإنسان غنيّة بالمدلولات التاريخية وبالمحطات العديدة التي برز فيها مدافعاً عن الكادحين والشعوب المضطهدة ومن أجل الاستقلال الوطني والتحرر من الاستعمار والهيمنة الأجنبية ومن أجل حياة كريمة لشعوبنا وتحقيق الديمقراطية عبر مشاركة الشعب في صناعة القرار السياسي والاقتصادي.

ويكفي أحمد حميدان فخراً أنه عاش مدافعاً عن هؤلاء المعذبين

والمسلوبة حقوقهم في الوطن العربي ليصبح محل إعتزاز وإكبار من قبل كل من عرفه في الخليج والوطن العربي وهذا ما دلّ عليه الحضور الكبير في تلك الاحتفالية، وبينهم من عاصروه من عُمان والكويت إلى جانب رفاقه البحرينيين ليدلوا بشهاداتهم القيمة عن أحمد حميدان وما عاناه من مصاعب، والسجون التي دخلها سواء في عُمان (سجن كوت الجلالي) أو البحرين (القلعة ومن ثم جزيرة جدا) ولما لأهمية ما استرسلوا في قوله حصلنا على حصيلة معقولة عن التحولات الفكرية والسياسية العديدة التي حصلت للحركات الثورية في منطقة عُمان والخليج العربي والدور الذي قام به أحمد حميدان في هذه التحولات نحو اليسار والفكر الماركسي اللينيني كمنهاج عمل استرشدت به تلك الحركات السياسية.

أثرت الأدوار التنظيمية والفكرية التي قام بها أحمد حميدان الحركة الوطنية وأعطت اليسار زخماً ليحتل مرتبة الصدارة في تلك الفترة في الدفاع عن الحقوق بعيداً عن الاطروحات الطائفية والشوفينية والإنغلاق على الذات نتيجة للتطورات التي حصلت في العالم والمدّ اليساري الذي اجتاح المنطقة العربية وكان للخليج والبحرين نصيب وافر من هذه التحولات الثورية، فالأفكار التي حملها حميدان جسدّها في الأفعال لا في الأقوال، فأصبح مثالاً يحتذى به من بقية رفاقه، قائداً، رمزاً يُهاب لوعيه السياسي العميق الجريء ولشجاعته المجربة في كل معترك.

إنها رحلة إنسان يحمل بندقيةً بيد وبالأخرى كتاباً، يحمل قلبه بيد واثقة وهو يصعد جبل مصيره الوَعر والقاسي لتحقيف أهداف نجح في البعض منها وأخفق في الأخرى، وكان على معرفة أنّ قيمة الإنسان لا تكمن في النصر، بل في الكفاح من أجل النصر وإن قيمة الإنسان كامنة في أن يعيش ويموت بشجاعة دون التنازل بقبول أي جزاء.

ولنا في هذه العجالة بأن نثمن الترتيب لهذه الاحتفالية والجهد المبذول لإظهارها بالمظهر اللائق، جهد يُشكر عليه المنظمون، ولنا وطيد الأمل أن يسلط الضوء مجددا بالمزيد من البحث والتحري عن تلك الأدوار المهمة التي قام بها أحمد حميدان وغيره من المناضلين حتى لا يصبح بحثا عن زمن مفقود من تاريخ الحركة الوطنية في البحرين والخليج العربي، وحتى نعيد لهم بريق تلك الفترة المجيدة التي عاشوها مناضلين أشدّاء لتحقيق مطالب شعبهم في الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان، وحتى تتعرف الأجيال الحالية على ما قدّموه من تضحيات جسام في سبيل تحقيق تلك المطالب المحقة والمشروعة.

زمن أحمد حميدان وأحمد الشملان وسواهما زمن مفقود، لقد شتتهم القدر في بلدان مختلفة عبر البحار ووراء الجبال بعيداً عن أرض وطنهم

الغرب بين نفي الإبادة والاعتراف بدولة فلسطين

جلال إبراهيم

تشهد القضية الفلسطينية تحولات جيوسياسية كبيرة، حيث يقف العالم عند مفترق طرق حاسم بين دعم الحقوق الفلسطينية أو الاستمرار في سياسة الازدواجية. يُظهر الموقف الغربي، ممثلاً بالولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، تناقضًا صارخًا: فمن ناحية، يتجنب وصف العدوان الإسرائيلي على غزة بالإبادة الجماعية، ومن ناحية أخرى، يتحرك نحو الاعتراف بدولة فلسطين. هذه الازدواجية تثير تساؤلات عميقة حول المبادئ والأخلاق والسياسة الدولية.

منذ أكتوبر 2023، شهدت غزّة حملة عسكرية شرسة أدت إلى سقوط عشرات الآلاف من الضحايا، معظمهم من المدنيين، وتدمير البنية التحتية بشكل منهجي. تؤكد تقارير الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية وقوع انتهاكات جسيمة، بما في ذلك قصف المستشفيات والمدارس، واستهداف الصحفيين والعاملين في المجال الإنساني.

رفضت دول غربية كبرى، خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا، استخدام مصطلح «الإبادة الجماعية» لوصف ما يحدث في غزّة، متذرعة بعدم اكتمال الأدلة أو بحجة «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها». هذا الموقف يتجاهل تقارير محايدة صادرة عن منظمات مثل «هيومن رايتس ووتش» و»أمنستي إنترناشونال»، والتي تتحدث عن جرائم حرب واضحة ومؤكدة.

يعكس هذا النفي مصالح سياسية واستراتيجية، منها: الخوف من فقدان النفوذ في الشرق الأوسط، والتأثير القوي للوبيات المؤيدة لإسرائيل في صنع القرار، والرغبة في حماية المصالح الاقتصادية والعسكرية مع الكيان الصهيوني.

في المقابل، يشهد الواقع تحولاً تدريجياً في موقف العديد من الدول الأوروبية، مثل إسبانيا والنرويج وإيرلندا، التي أعلنت اعترافها بدولة فلسطين، وانضمّت بذلك إلى أكثر من 140 دولة في العالم تعترف بفلسطين كدولة ذات سيادة. وشكّل هذا القرار ضغطاً على دول أخرى، مثل فرنسا وبريطانيا وكندا، لتغيير موقفها.

لا شك أن الدوافع متعددة لهذا التحول الغربي في الاعتراف بدولة فلسطين، من بينها تزايد التضامن مع الفلسطينيين في الغرب، خاصة بين الشباب والطلاب والأساتذة، مما أجبر الحكومات الأوروبية على مراجعة سياساتها. وربما يكون من بين هذه الدوافع أيضًا محاولة لاستعادة المصداقية الأخلاقية للغرب بعد سنوات من الانحياز الكامل لإسرائيل، وسعيًا من أوروبا لاستعادة نفوذها المفقود في الشرق الأوسط، والبحث عن موطئ قدم لها في المنطقة عبر البوابة الفلسطينية، في مواجهة الهيمنة الأمريكية، والسعي للظهور مرة أخرى كلاعب مؤثر في الساحة الإقليمية، بعد أن سُحب البساط من تحت أقدام القوى الاستعمارية القديمة.

رغم رمزيته، فإن الاعتراف بدولة فلسطين يبقى غير كافٍ دون تحقيق ضغط حقيقي على إسرائيل لوقف الاستيطان وآلة القتل والتدمير، ودعم ملموس لبناء مؤسسات الدولة الفلسطينية، وحل القضايا الجوهرية مثل قضية القدس واللاجئين.

يُمثل الموقف الغربي حالة كلاسيكية من «ازدواجية المعايير». فمن ناحية، يُدين انتهاكات حقوق الإنسان في دول أخرى (مثل روسيا أو الصين)، ومن ناحية أخرى، يتغاضى عن فظائع إسرائيل في غزّة. هذه الازدواجية تُضعف مصداقية الغرب وتُعمق أزمة الشرعية الدولية.

الغرب أمام خيارين: إما الاستمرار في سياسة الازدواجية التي تُغذي الصراع وتُهدر دم الفلسطينيين، أو تبني موقف أخلاقي متسق يقوم على الاعتراف بحقوق الفلسطينيين كاملة، بما فيها حق تقرير المصير، والضغط على إسرائيل لوقف انتهاكاتها واحترام القانون الدولي، وأخيرًا إقامة دولة فلسطين.

الاعتراف بدولة فلسطين يجب أن يكون جزءًا من رؤية شاملة للعدالة، وليس مجرد خطوة دبلوماسية لتحسين الصورة. العالم يتغير، والشعوب لم تعد تقبل الصمت أمام الظلم.

صباح العود

أين نحن من الشعور بالمسؤولية تجاه الوطن؟

لا شك أن توافر الظروف الموضوعية والذاتية في كل مجالات المعرفة في المجتمع يساعد على وجود إمكانيات من الطاقات البشرية المتخصصة في عدة مجالات من العلوم الإنسانية التي تلعب دوراً فعالاً في حياة المجتمع وخاصة في تشكيل الوعي الديمقراطي، فهذه الظروف تؤدي إلى بلورة التغيير والإصلاح من جانب القوى الاجتماعية والسياسية المؤهلة.

وهذا يتطلب توافر الحريات سواء على مستوى الصحافة أو النشر وتقبل الرأي الآخر، فمثل هذه الشروط كفيلة بان تجعل الواقع أجمل .. حيث يعطي فرصة للمرء أن يعبر عن آرائه، وهذا في حد ذاته صورة من صور الديمقراطية، يؤدي الى تقدم البلد ويجعله في مصاف الدول المتقدمة المتحضرة.

كما يتطلب توافر التعليم مجاناً سواء على مستوى الحضانة أو الروضة أ أو المدرسة أو الجامعة .. إن إلزامية التعليم من المدرسة إلى الجامعة تؤدي إلى إعداد كوادر متخصصة في عدة مجالات التي بها يرقى ويتطور شعب هذا الوطن، كما يقال إن القراءة غذاء روحي للنفس وللعقل.

نحن الآن في مرحلة لم تنضج بعد، ما زلنا في بداية الطريق، ويتعين علينا عمل الكثير من أجل تجاوز الصعاب والمعوقات، و أن نبدأ بالمرحلة الأولى ألا وهي إدخال الوعي الديمقراطي من خلال العلم والمعرفة وبه يستطيع الأنسان أن يحيا حياة سعيدة مليئة تؤمن له الاستقرار والرخاء الاجتماعي. نحن في مرحلة إعادة تأهيل لبناء الفرد القادر على التعاطي مع الفكر الديمقراطي وأهمية الديمقراطية والتعددية السياسية والفكرية، وهذا يتطلب وجود المثقفين والمفكرين السياسيين ممثلين في القوى الوطنية والديمقراطية بكل أطيافها التي تناضل في سبيل المصالح الوطنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ومن أجل تحقيق ذلك بشكل جيد، من الضرورة أن نكون بعيدين عن المهاترات والتوترات والانفعالات التي تؤدي إلى إبطاء العمل السياسي وحرفه عن أهدافه، فيما المطلوب أن يكون هذا العمل النضالي السياسي مبدعاً يصب في المصلحة العامة للوطن، فلا يمكن الاستمرار بالعطاء المتواصل بدون كلل أو ملل إذا لم نعتمد على مبدأ العمل التطوعي بمبادرة ذاتية صادقة من القلب إلى القلب.

وهنا لا بد من الوقوف عندى دور المرأة البحرينية التي قدمت تضحيات كبيرة في سبيل نيل حقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية المشروعة بالرغم من المعوقات العديدة التي تقف عائقاً أمامها من خلال جمعياتها واتحادها، ولازالت تواصل مسيرة العطاء والتضحية في العديد من الميادين من أجمل تأمين حياة أفضل للنساء وللمجتمع عامة.

بمناسبة يومها العالمي .. الديمقراطية الحلم المؤجل

مرّ علينا فى ١٥ سبتمبر «اليوم العالمي للديمقراطية»، وهي مناسبة أقرتها الأمم المتحدة عام ٢٠٠٧ لتعزيز الوعي بأهمية الديمقراطية الحقيقية، وليست الديمقراطية التى تعتمد «على المقاس»، مناسبة بروتوكولية تُرفع فيها الشعارات وباتت هذه الشعارات وأي فعاليات تنظم بهذه المناسبة أشبه بمرآة تعكس التناقض بين الخطاب والواقع.

خليل يوسف

أمين عام الأمم المتحدة انطونيو غوتيريش وبمناسبة مرور 18 عاماً منذ إعلان اليوم العالمى للديمقراطية وبمضي 20 عاماً على انشآء صندوق الأمم المتحدة للديمقراطية، قال إن الجهود الرامية للديمقراطية أضحت أكثر أهمية من أي وقت مضي في زمن تتعرض فيه الديمقراطية وسيادة القانون لاعتداءات وانتهاكات بسبب التضليل والإنقسام وانحسار الحيز المدني.

الواقع المعاش الراهن يبرهن على ذلك، ويؤكد أن الديمقراطية فى كثير من الأماكن فقدت بريقها، والقيم التى تحملها تراجعت، ومعانيها الحقيقية فقدت ركائزها، انتهكت وتحوّلت إلى شعارات براقة، وفعاليات تفيض بالكلام عن الديمقراطية التي أصبحت الممارسات الفعلية تخنقها وتفرغها من مضامينها، وباتت قيم المشاركة الشعبية، واحترام أصوات الشعوب، وطرح المطالبات ذات الصلة بالحرية والعدالة وسيادة القانون والمساواة والشفافية وحقوق الإنسان وحرية الفكر وقيم المواطنة، وغير ذلك من قيم وأسس تشكّل مرتكزات الديمقراطية الحقيقية والتى بدونها تكون الديمقراطية محض لعبة شكلية تُداس تحت أقدام اصحاب المصالح والنفوذ. ديمقراطية انتقائية تستخدم كديكور، وكأن تحذير المؤرخ والمنظر السياسي الفرنسي أليكس دو توكفيل قبل قرنين لازال حاضراً فى المشهد العام الراهن عالمياً، وهو القائل «الخطر الأكبر على الديمقراطية أن تتحول إلى قشرة بلا مضمون»..

نعلم أن غالبية الدول تتبنى فى دساتيرها نظماً ديمقراطية، إلا أن الواقع يظهر تراجعاً فى مؤشرات الديمقراطية فى الكثير من دول العالم، وتقارير منظمة «فريدوم هاوس» ومؤشر إيكونومست للديمقراطية تشير إلى انحدار مطرد منذ اكثر من عقد لعد أسباب من أهمها ما يتعلق بتقييد حرية الصحافة والتضييق على حرية التعبير وتحجيم المعارضة السياسية، فضلاً عن الانتخابات الشكلية وضعف الشفافية والمساءلة، وارتفاع نفوذ المال فى العملية الانتخابية، ووصفت بعض المؤسسات هذا التراجع ب «الركود الديمقراطي»، مع ملاحظة ان هناك من يستخدم واجهات الديمقراطية لممارسات تعاكس الديمقراطية.

لن نذهب بعيداً فما يحدث اليوم من مفارقة مؤلمة فى الخطاب الديمقراطي العالمى، والتعامل المزدوج مع عناوين ومفاهيم الديمقراطية تقفز أمام أنظار العالم بين المبادئ المعلنة والمواقف الفعلية، أليس هذا ما يحدث أمام مرأى الجميع فى قطاع غزة من جرائم غير مسبوقة فى التاريخ البشري يكشف عن أزمة عميقة فى منظومة القيم الغربية، حين تتهاوى شعارات الحرية والعدالة وحقوق الإنسان أمام مواقف سياسية منحازة أظهرت ازدواجية فاضحة فى المعايير واهتزاز فى جوهر الخطاب الديمقراطي، فالديمقراطية لا تكتمل بصناديق الاقتراع والمؤسسات المنتخبة إلى آخر القائمة، بل تقاس بموقفها من العدالة، ووقوفها مع المظلوم، ودعمها لكرامة الإنسان، أين ذهبت هذه المبادئ ؟، لماذا وجدنا دولاً لا تتردد فى فرض عقوبات على دول أخرى تحت ذريعة «انتهاك حقوق الإنسان» وهى التي تقف عاجزة أو متواطئة أمام مجازر معلنة ترتكب ضد مدنيين، ثلثهم من الأطفال. وبدلاً من تفعيل أدوات القانون الدولي نشاهد محاولات تبرير التوحش وإسكات الأصوات المنتقدة وحتى قمع المظاهرات الواسعة المنددة بالهمجية التي ترتكب في غزة والمؤيدة لفلسطين.

بالرغم من هول ما يحدث في غزة فان ما جري ولا زال يجري فيها كشف شيئاً آخر هو الصحوة العالمية، التي وإن تأخرت إلا أنها اليوم آخذة في التشكل والاتساع فى الشوارع والجامعات الأوروبية، ومنصات الإعلام الجديد، وحتي في مواقف بعض الدول، صحوة رافضة للإبادة، وتدين النفاق وتؤكد الإصرار على إعادة الاعتبار للإنسان قبل الجنسية والدين، وأي اعتبارات أخرى، ما جرى ويجرى فى غزّة يمكن القول إنّه شكّل صفعة أيقظت شعوب العالم، بعد أن أيقظت فى داخل الجميع أسئلة صعبة، لماذا يقتل الأطفال والنساء والشباب والشيوخ بصمت دولي؟، و من يملك حق الدفاع ؟، وهل مازالت حقوق الإنسان شاملة أم أنها حكر على طرف دون آخر؟، لماذا اختبأ خلف الأقنعة من كان يدافع عن القيم والمبادىء وحقوق الإنسان؟، وكم مرة استخدمت فيها الديمقراطية كأداة ضغط وليس كقيمة إنسانية؟

فليعلم الذين احتفلوا بالديمقراطية فى يومها العالمي بأن الديمقراطية لا تختزل فى مناسبة سنوية، واحتفالات بروتوكولية، بل إلى إرادة عالمية تنهي زمن الكيل بمكيالين، فهي عقد اجتماعي حقيقي بين الحاكم والمحكوم، لا تُقصى فيه الشعوب من القرار، لا إلى برلمانات ليست كالبرلمانات، ومحاصرة الصحافة، وتضييق الخناق علي المجتمع المدني ومؤسساته. الديمقراطية ليست شعارات ترفع عن العدالة فيما العدالة غائبة، وليست خطابات تطنطن، ولا عناوين تملأ مواقع التواصل. الديمقراطية لا تشترى فى بورصات السياسة، وليست مجرد ديكور سياسي يجّمل قبح المصالح ويجعل الأوطان تدار كإقطاعيات خاصة ..!

أية ديمقراطية تبشر بها دول كبرى وهى تدعم أنظمة لا تعرف من الديمقراطية إلا اسمها، وأي معني للديمقراطية بينما الشعوب مستبعدة من القرار، ترفع شعارات العدالة بينما العدالة غائبة، وما لم تتحوّل الديمقراطية من شعار يرفع إلى واقع ملموس لا تكال فيه الأمور بمكيالين، ولا تكون فيه الديمقراطية مجرد زينة سياسية.

سيظل هذا الاحتفال، وأي مناسبات تتغني بالديمقراطية، مجرد مسرحية كبرى يصفق فيها الممثلون بينما يظل الجمهور مكبلاً بلا صوت ولا قرار، فليحتفلوا ما شاءوا لكن الشعوب تعرف بل تلمس الحقيقة على ارض الواقع الملموس.

ونختم بالقول إننا لم نتطرق إلى حال الديمقراطية فى البحرين ومنطقتنا العربية، فحالها معروف وملموس، يكفي القول «إن الديمقراطية بكل أبعادها، وتجلياتها ومقتضياتها فى بلدنا والمنطقة لازال حلماً مؤجلاً».

(قف)

المثقـف والنــرجسيــة

إن مصطلح النرجسية دقيق وشائك، وحتى وقتنا الحاضر لم يستطع عالم تحديده في تعريف محدد واضح، فحتى الآن ظهرت عدة تعريفات له.

في مقالٍ سابق ذكرنا أن النرجسية هي حبّ الذات وهي سمة للشخصية لدى جميع الأفراد ولكن بدرجات متباينة؛ فمنهم من يمتلكها بدرجات قليلة، فالفرق هنا في الدرجة وليس في النوع.

فهد المضحكي

في بحثها "النرجسية وعشق الذات"، تشير الباحثة سهام شباط ، إلى أن الشخصية النرجسية تشعر بالعظمة وحب الذات وبأنها شخصية نادرة الوجود وإنها نوع فريد لم يخلق مثله في العالم، لا يفهمها إلا نوع خاص من الناس ينتظر الاحترام والتقدير الخاص لشخصه وسلوكه وافعاله من قبل الآخرين، شخص استغلالي، مستفز ابتزازي، وصولي يستفيد من مزايا الآخرين ليرتفع على اكتافهم، غيور، مُنظر من الدرجة الأولى، يتكلم عن أمجاده وأفكاره دون أن يطلب منه أحد، معتز بشكله وجماله وأناقته، مريض بجنون العظمة في كل ما يفعل، متمركز حول الذات، يستميت للحصول على المنافع لتحقيق أهدافه الشخصية، متطرف في افكاره لدرجه الخطورة؛ طبعًا لمصلحته الذاتية "أنا وبعدي الطوفان"، وعند الحديث عن المثقفين والنرجسية لا نبالغ إذا قلنا أن تضخم "الأنا" أزمة المثقف الحقيقية، وهو ما يتوقف عنده الباحث طاهر الزراعي، وغيره من الباحثين والمهتمين.

فالمثقف الواعي، وفق منظوره، هو الذي يؤسس له هوية تستحوذ على اهتمام الآخر، متجاوزًا حالات كثيرة من النرجسية التي تعتبر سلوكًا استعلائيًا قلما ينهض بالمفهوم الحقيقي للثقافة الحية، لأن الثقافة ارشيف مدلولي لذات المثقف تتمخض من خلال مفاهيمه السلوكية المتأصلة في ذاكرته كإرث وجودي يدلل على انصهاره في واقع المجتمع، لتأسيس مرحلة نموذجية لدى كل من يعتبر الثقافة صورةً مغايرةً لفكر المثقفين. تضخم "الأنا" للمثقف سلوك نفسي مزمن له مسبباته وعوارضه الشخصية التي ابتلت به، تأخذ حاجتها من المديح والإعجاب وترفض كل من يحاول نقدها أو مزاحمتها ، ما يشكل انعكاسًا سلبيًا يجرد الثقافة من ابسط حقوقها ومن ادق شموليتها، وفي اعتقاده أن هذا نتاج حالة متورمة – إن صح التعبير– فرضتها ذاكرة إقصائية مورست بحق من يتصف بهذا المفهوم، إن " شخصية الأنا المتضخمة " تأخذ سلوكها من نسقيه الشخصية النرجسية بكل تعاليها، ومن الشخصية التسلطية بانفعالها واندفاعها، وتأخذه أيضًا من تصوراتها الشخصية الاحتوائية التي تسعى لأن تبهر الآخر بطريقة التوائية بعيدة عن صيغة الخطاب الثقافي والذي بدوره يؤسس لمعالجة اخطاء الهوية (هوية المثقف) ، وعدم انحيازه لسلوكياته وممارساته التي تجعله يسلع ثقافته عبر مد جسور خاطئة تكشف تصرفاته..والتي قد يسقطها الآخر على ثقافة بيئته.

وإذا كان هناك من يرى أن بعض مثقفينا يعيش أزمة وعي حينما يضخمون (الأنا) ويحصرون ثقافتهم في حبّ التملك والإشباع الثقافي وإسقاط رأي الآخرين، فإن ما يجب أن ندركه هو أن مفهوم (قوة الأنا) يختلف اختلافًا كليًا عن مفهوم (تضخم الأنا)؛ فالمفهوم الأول ينتج لنا مثقفًا حقيقيًا تنويريًا أو ما يسميه الباحث محمد أركون بـ (المثقف النقدي) الذي يتناول ثقافته من خلال نقد النصوص متجاوزًا كل نمطيات الأنا المتضخمة و انعكاساتها على الواقع، أما (الأنا المتضخمة) فهي تسعى بطبعها إلى نفي الآخر وعدم الاعتراف به وفرض الهيمنة والفوقية والتعالي عليه، ما يفقد الثقافة قيمتها التي نراهن عليها كمحصلة مستقبلية.

للمفكر الراحل إسحاق الشيخ يعقوب مقال نُشر بجريدة " الأيام " البحرينية في يوليو 2019، تحت عنوان "المثقفون فئة" يذكر فيه: تتميز نبتة فئة المثقفين عن شرائح المجتمع بخصائص عدم الثبات والتلون والتذبذب وتورم الذات والتجذر النرجسي والإدعاء والتبجح الصلف والتوفر والتأزم، وهذه صفات لا يجوز اطلاقها على جميع المثقفين بقضهم وقضيضهم، ففي ذلك من التجني وعدم الدقة، وإنما هي صفة شائعة تلاحق أرتالها في دهاليز انشطتهم الفكرية والإبداعية والفلسفية وحيثما كانوا وأناخوا ركابهم ! .

إن صفة "الأنا" والأنانية المستمدة من أنانية النفس هي افرازات كريهة روائحها، تفوح بين لفائف قروح الأورام الذاتية، وقد يتلمسها كل لبيب مهما حاول هذا المثقف أو الشاعر أو الأديب أو الفنان اخفاءها والتمظهر بالتواضع وإنكار الذات والإيحاء الكاذب بالإلمام بالمعارف والعلوم الفلسفية ونوادر الخصوصيات ونوبات المواهب التي تلم به أثنا الحالات الإبداعية؛ أكان شعرًا أم نثرًا أم إخراجًا فنيًا وما إلى ذلك في الحياة الفنية.

إن اشكالية المثقف تتمثل في اشكالية نرجسيته وهو ما ترتبط بتفاهة التركيبة النوعية لهذا المثقف أو ذاك!

عندما يسقط المثقف في براثن النرجسية يسقط في عيون الأغلبية، يقول الفنان التشكيلي العراقي نبيل تومي: "كان وما يزال الطموح والحلم، النجاح والتألق، النجومية والنخبوية، المحاكاة الاجتماعية، الموقع السياسي، الغني المادي، القائد الكبير، السياسي البارز، الشاعر النخبوي، الفنان المغمور، المهني، المخترع المصمم اللامع.. إلخ كلها من الأمور الشرعية والتي هي أساس التقدم لسائر البشر ولا يوجد من يعارض أو يعترض أخلاقيًا البتة مع رغبة الأفراد في النجاح.. ولكن حسبي من أن البعض أو ربما الكثير من الناجحين والمرموقين في مختلف المجالات يصابون بمرض داء العظمة أو (الإفراط في النرجسية)».

التربيــة والتعليــم وصنــاعــة المثقــف

على مدى سنواتٍ طوال كان المثقفون هم الأشخاص الذين يؤدون مهاماً خدمية للمجتمع كالمعلم والطبيب ورجل الدين، ثمّ تطور الحال وانضمّ إلى فئة المثقفين جماعة من الارستقراطيين/البرجوازيين الذين أسسوا فكراً جديداً سيعرف فيما بعد بالليبرالية وكانوا يمثلون المدينة، ولقلة عملهم الوظيفي المهني لاعتمادهم على الإقطاع وثرائهم توفرت لديهم الفرصة السانحة ليمارسوا تأملاتهم الثقافية والفلسفية ومختلف الفنون، ولكن مع ذلك فقد نشأت في الأرياف ومن بين الفلاحين المنهكين بالعمل الشاق فئة ثقافية بالتوازي مع تلك البرجوازية، وكانت النواة التي شكّلت بذرة تخلخل السيطرة البرجوازية الاستبدادية والإقطاع. وفي العصر الحديث ستحصل طفرة في أعداد المثقفين بسبب الأنظمة البيروقراطية التي ستكثر فيها الوظائف ذات الطابع الثقافي واختلاف اسلوب الحياة والعمل، وستنشأ حركات ثقافية متنوعة منها من سيخرج من المصانع ومنها من سيخرج من الأرياف.

حسين آل ربيع

يُميّز غرامشي بين فئتين من المثقفين؛ مثقفي المدن ومثقفي الأرياف من ناحية المواقف والعلاقات والسلوك الثقافي، ويرى أن مثقفي المدن ينمون بنمو المصانع وكانوا قد ارتبطوا بثرواتها، ومهمتهم تتمثل في تحقيق ترابط بين المنظومة الإقتصاد/سياسية والكتلة الجماهيرية الأساسية (الطبقة الوسطى)، وهم يتبعون ويلتزمون بتنفيذ خطط الإنتاج التي يحددها أصحاب المصانع التجار من غير المثقفين. يقول غرامشي: «يمكن القول بأن مثقفي المدينة العاديين نمطيّون للغاية. في حين أن كبار مثقفيها يرتبطون أكثر فأكثر بالمسؤولين العاميين.» وهم بالمجمل أكثر اعتماداً على الرأسمالية لارتباطهم بالتجار البرجوازيين. أما الفئة الثانية فهم مثقفو الريف أو «المثقفون التقليديون» بمعنى أنهم مرتبطون ارتباطاً عضوياً بالكتلة الاجتماعية لأهل الريف أو البرجوازية الصغيرة في المدن الريفية التي لا يسيطر عليها النظام الرأسمالي سيطرة كاملة. ويشكّل هذا النوع من المثقفين الرابط بين جماهير الفلاحين والإدارة المحلية والدولة، منهم رجل الدين/الكاهن، المحامي، كاتب العدل، المعلم، الطبيب...الخ، وبسبب هذا النشاط أصبحت لهذه الفئة من المثقفين وظائف سياسية/اجتماعية مهمة لأنه يصعب فصل الوساطة المهنية عن السياسية. يقول غرامشي:» في الريف يتمتع المثقف على مستوى أعلى أو على الأقل مستوى معيشة مختلف عن مستوى معيشة الفلاحيين العاديين، وبالتالي يمثل النموذج الاجتماعي للفلاح الذي يتطلع إليه في طموحه في الهروب من حالته أو تحسينها... ويحلم الفلاح دائماً لأن يصبح واحداً من أبنائه على الأقل مثقفاً (بخاصة كاهناً) وبالتالي يصبح نبيلاً ويرفع من المستوى الاجتماعي للأسرة... "والمثقف ابن البيئة التي خرج منها وبقي مدافعاً عنها وعن حقوقها هو نفسه غرامشي الذي كان ينتمي الى هذه الفئة المكافحة.

على أن غرامشي يحاول من خلال حديثه عن دور المثقف والتعليم، العمل على تأسيس فئة مثقفة جديدة هي مزيج من المدن والأرياف تتماشى مع الواقع الصناعي والحركة التكنولوجية التي قللت الفوارق كثيراً بين الناس عن السابق. سوف تعرف هذه الفئة بمثقفي الطبقة العاملة التي سيهتم بها غرامشي كثيراً بحيث كانت حياته عبارة عن مرحلة تكوين مثل هذا المثقف. كان دور التربية والتعليم في غاية الأهمية لنجاح العملية الديالكتيكية لنشوء هذه الطبقة الجديدة فالقضية التعليمية في رأي غرامشي ليست قضية المناهج وحدها بل قضية البشر نفسهم من ناحية سعيهم للمعرفة وتطويرها ذاتياً، وليست قضية الأفراد وحدهم بل المجتمع بأكمله الذي يعبرون عنه ويعبر عنهم هذا التداخل والتكامل. قد يستخرج من داخل المجتمع ومن ذات هويته طبقة مثقفة لا تقتصر فقط على المعلمين والأطباء والكهنة والبرجوازيين كما هو الحال في الحالات السابقة إنما طبقة مثقفة من العمال والشغيلة والحرفيين... الخ. وتشكّل هذه الإشارة الى المستقبل الذي ينتج مثقفين من الطبقة العاملة (المثقف العضوي) أمراً حاسماً في فكر غرامشي لأنها المنظور الثوري الذي سوف يبني عليه تحليله بالكامل.

هل التعليم المدرسي الحالي والتأسيس الاجتماعي للأفراد قادر على تكوين المثقف العضوي عند الأجيال الحديثة؟ الواقع أنه بسبب سيطرة العولمة الرأسمالية الاستهلاكية أصبح دور التعليم بدل تنشئة المثقف العضوي يقتصر فقط على تأهيل الأجيال لسوق العمل لأنه السبيل الوحيد لتحصيل مرتب مالي يستطيع من خلاله الفرد الكسب وعيش حياة استهلاكية مقنعة، وواقع الحال أن الحياة اليوم لاتستقيم إلا بهذا الشكل. وأصبح المثقف يمارس الثقافة وهو مرتبط بأعمال وظيفية أخرى لا صلة لها بالثقافة أحياناً كثيرة، إذ هو مثقف مطلع على النصوص الثقافية والعلوم السياسية والفلسفية ويمارس في ذات الوقت مهنة الميكانيكي أو الكهربائي...الخ من المهن المستحدثة. طبقة العمال المثقفة انحسرت كثيراً بل إن الثقافة الحقيقية بكاملها قد انحسرت بعد أن كانت واسعة وكبيرة لانشغال الناس بالعمل الآلي والإلكتروني والتكسب من أجل العيش فصارت الثقافة في الغالب أمراً شكلياً وهذه واحدة من مساوىء العولمة الرأسمالية التي تمضي في طورها الأخير.

أتساءل أين المثقف المهتم بالقضايا الإنسانية والأخلاقية الكبرى، المثقف الحرّ المسؤول، مثقف ادوارد سعيد المشتبك و مثقف غرامشي العضوي، لعلك تجد إجابات مقنعة اذا ما دققت النظر في دور التربية والتعليم ونمط الحياة.

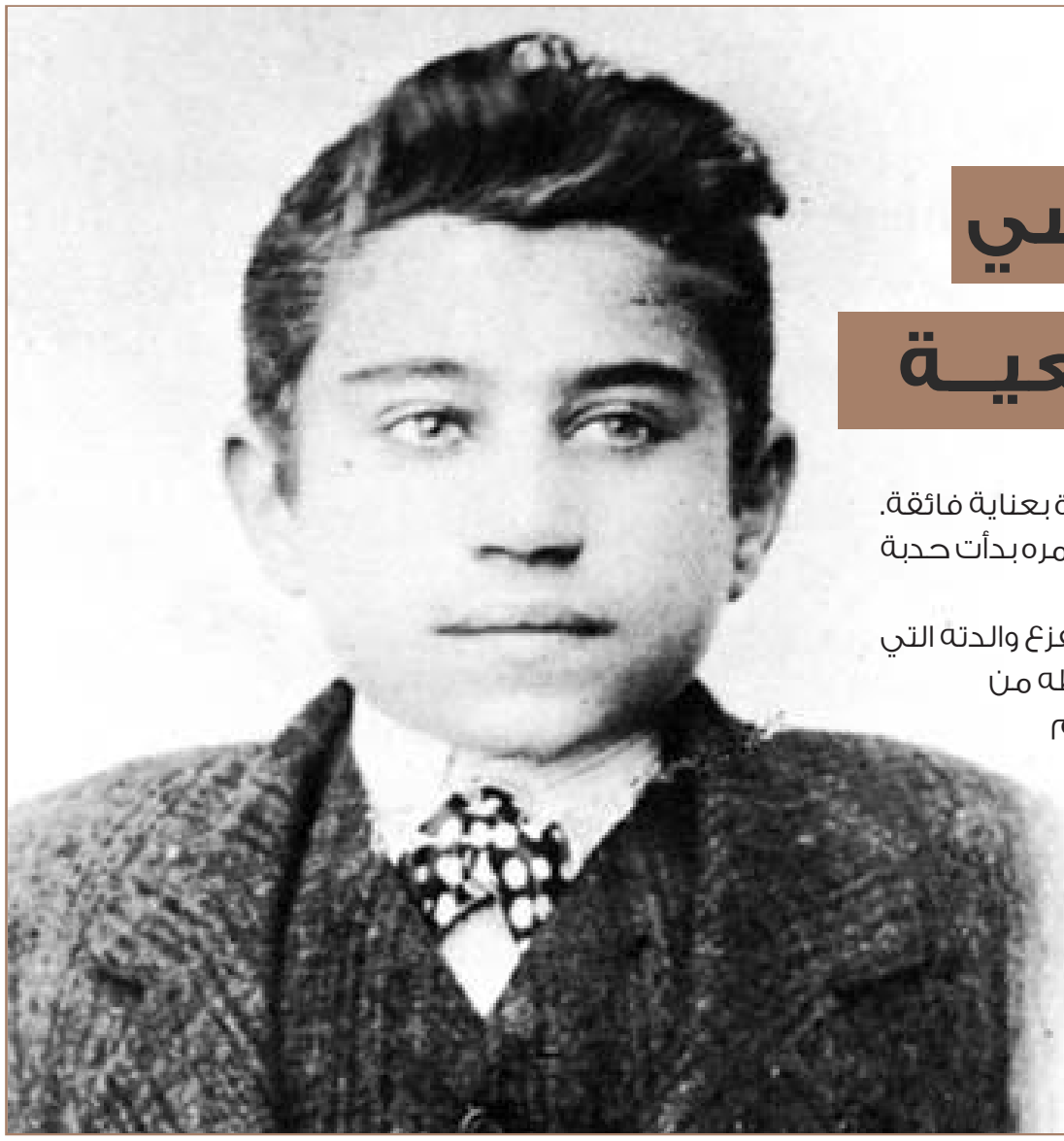

«لم أضحك كما لم أبكِ أبدا !» ...

عن طفولة غرامشي وسنواته الجامعية

في البداية كان طفلاً سعيداً. أحاطه كل أفراد الأسرة بعناية فائقة. الجميع كان يناديه «نينو» تدليلا.حين بلغ الرابعة من عمره بدأت حدبة صغيرة بالبروز في عموده الفقري.
تحوّل تدريجياً إلى طفل أحدب ذي رأس كبير. انتاب الفزع والدته التي شكّت في أن سبب تلك الإعاقة ربما يعود إلى سقوطه من يد المربية التي كانت تعتني به. نفت المربية ذلك، ولم يصدقوها. هرع والداه إلى أقرب مدينة ليفحصه أحد الأطباء. حار في البداية، ثم نصحهم بتعليقه بحزام جلدي مربوط بأعلى سقف الغرفة حتى يتمّ تصحيح "الإعوجاج" في ظهر الطفل، وهذا ما تمّ فعله.
كل يوم قبل أن يذهب الأب إلى العمل يقوم بتعليق " نينو" من ظهره بالحزام الجلدي لمدة أربع ساعات.

محمد ديتو

النتيجة أن حالة الطفل تدهورت، وإزداد تحدباً، بل ظهرت له حدبة إضافية في أعلى قفصه الصدري، وبدأت تنتابه نوبات تشنج مصحوبة بنزيف من الفم واعتقدوا أنه أصيب بالصرع. قال الطبيب إن حالته ميؤوس منها ولن يعيش طويلاً، وقامت والدته بتجهيز كفن صغير انتظاراً للحدث المأساوي. ولكن الطفل عاش، وكبر، وتعايش مع مرضه طيلة حياته (فقط في عام 1933 تمّ تشخيصه بإصابته بمرض نادر من السل يصيب النخاع الشوكي). الطفل الأحدب «نينو» صار «أنطونيو غرامشي»، قامة فكرية ونضالية شامخة، ألهمت أجيالاً متعاقبة منذ منتصف القرن الماضي إلى الآن.
في كتابه المهم بعنوان "أن تعيش هو أن تقاوم – حياة أنطونيو غرامشي" الصادر عام 2021، قام المؤرخ الفرنسي «جان إيف فريتيني» بتتبع سيرة حياة غرامشي الإنسان، محاولاً إماطة اللثام عن العديد من الأساطير التي أحاطت بشخصية المفكر. في إحدى المقابلات أجاب المؤرخ على سؤال: «كيف نتعامل مع أنطونيو جرامشي؟» بقوله: «هناك ثلاث طرق ممكنة: أن ندرس حياته، أو نبحث في تأثيره على الأجيال اللاحقة، أو نقتصر على تحليل أعماله الفلسفية في السجن. أنا اخترت حياته». يبدو أن سيرة حياته مفتاح لفهم أعماله، إن لم تكن شرطا ضروريا لذلك. للأسف حظّ قراء العربية ليس جيداً، حيث يمكن ملاحظة قلّة الأعمال التي تناولت سيرة حياة ذلك المفكر الايطالي الشهير ولكن الغامض في نفس الوقت.
كان كتاب المؤرخ الأمريكي جون كاميت الذي ألفه عام 1960، وترجمه عفيف الرزاز إلى العربية عام 1984، هو الكتاب الوحيد الذي تناول سيرة حياة غرامشي بالتفصيل. عدم معرفة سيرة حياته تساهم باعتقادي في إهمال دور السياق الشخصي والتاريخي في تشكيل أفكاره ،مما قد يؤدي الى نسخ بعض أطروحاته ومحاولة تطبيقها على ظروف مختلفة. في الكتاب سعى المؤرخ الفرنسي إلى تبيان كيف كانت حياة غرامشي سلسلة لا تنقطع من مقاومته لمصاعب عديدة، بدأ من مكابدته المريرة مع مرضه المزمن وإعاقته الجسدية، وانتهاء بمقاومته لظروف اعتقاله طيلة الإحدى عشر عاما التي قضاها في سجون الفاشية الايطالية. الكتاب مقسم إلى خمسة فصول: في الأول نقرأ تفاصيل حياة غرامشي في سردينيا حتى بلوغه سن العشرين ومغادرته للجزيرة متجها إلى مدينة تورين الصناعية في الشمال الإيطالي ليتلحق بداسته الجامعية.
في الثاني تمّ استعراض حياته كطالب جامعي والصعوبات التي واجهته مما أجبره على الانقطاع عن الدراسة الجامعية والانخراط

- ما ميّز شخصية غرامشي مزيج من المعاناة المستمرة من ظروف خارجة عن سيطرته مقابل إرادته القوية في التصدي لتلك المعاناة
- رسائل غرامشي خلال فترة الجامعة تعتبر من أكثر رسائله حزناً، حيث أصيب بحالة اكتئاب حادة دفعته للعزلة
- غرامشي: عشتُ كل شيء للعقل.. عقلي كان دائم المعاناة.. عملت ربما أكثر مما تسمح به قوتي البدنية

بنشاط في الكتابة الصحفية والنشاط السياسي ضمن الحزب الإشتراكي الإيطالي. في الفصل الثالث المعنون "البلشفي" نقرأ عن تفاصيل إقامة غرامشي في موسكو مطلع العشرينات من القرن الماضي ثم عودته إلى إيطاليا وقيادته للحزب الشيوعي الإيطالي الذي تأسس عبر الانشقاق عن الحزب الاشتراكي. خصص المؤرخ الفصل الرابع والخاتمة لأصعب مرحلة في حياة غرامشي؛ اعتقاله من قبل السلطات الفاشية بزعامة موسيليني، ومحاكمته وسجنه لفترة 11 سنة انتهت بوفاته في إبريل 1937، أي قبل عامين من اندلاع الحرب العالمية الثانية.

ولد أنطونيو غرامشي في 22 يناير 1891 في بلدة آليس جنوب غرب جزيرة سردينا الايطالية، لعائلة يمتد نسبها من جهة الأب إلى أصول يونانية – ألبانية (من قرية غرامش في جنوب شرق ألبانيا) ومن هنا جاء إسم العائلة الغريب. طوال حياته كان انطونيو مضطراً إلى نطق وتهجئة إسم عائلته، وتفسير مصدر التسمية للناس، الأمر الذي كان مصدر إزعاج مستمر له. كان الابن الرابع من سبعة أبناء لوالدين: الأب يعمل بوظيفة حكومية في مكتب السجل العقاري، ووالدته من عائلة متوسطة الحال من سردينا. حين كان أنطونيو غرامشي في السادسة من عمره حلّت الكارثة على أسرته، حين تمّ تلفيق تهمة الفساد على أبيه من قبل مناصري أحد الزعماء السياسيين الذين كان يعارضهم، وحكم عليه بالسجن لخمس سنوات نتيجة لذلك. ألقيت مسؤولية إعالة الأسرة على عاتق والدة غرامشي لوحدها، التي تصدت للمصيبة بإرادة لا تلين.

لاحقاً كتب عنها غرامشي في إحدى رسائله من السجن إلى شقيقته: «هل نستطيع أن نفعل ما فعلته والدتنا قبل خمسة وثلاثين عاما؟ هل نستطيع أن نقف وحدنا في وجه كارثة كهذه، وننقذ مصير سبعة أطفال من الهلاك؟ لقد كانت حياتها درساً عظيماً لنا، فقد أظهرت مدى أهمية الصمود في التغلب على مصاعب تستعصي حتى على أشجع الرجال..لقد عملت من أجلنا طوال حياتها، وقدّمت تضحيات لاتحصى. من يعرف أية كارثة كانت ستحلّ بنا لو لم تفعل كل ذلك؟ ربما لن يكون أي منا على قيد الحياة اليوم!.»

اشتغلت أمه بحياكة القمصان وغسيل ملابس الجنود لقاء أجر زهيد، وكان انطونيو يساعدها عبر حمل الملابس الى أصحابها في القرى والبلدات المجاورة.

خلال تلك الجولات علقت بذاكرته بعض المواقف والمشاهد التي لن ينساها أبداً: شاهد جمال الطبيعة العذراء في سهول وغابات سردينيا، ونما لديه شغف وانجذاب مبكر لن يفارقه طيلة حياته تجاه مختلف الحيوانات البرية. ولكنه صادف أيضا مواقف مؤلمة لن تغادر ذاكرته أبداً.

في إحدى القرى شاهد إحدى الأمهات تلقي فضلات الطعام في حضيرة الحيوانات، وصُدم غرامشي حين لاحظ أن ابنها المصاب بمرض عقلي يعيش مكبلا بالسلاسل مع تلك البهائم. في بلدة أخرى صادف امرأة شابة كانت تسعى لإدخال أمها العجوز (ولكن السليمة عقليا) إلى مستشفى للمرضى العقليين للتخلص من رعايتها. انطبعت في ذاكرته تلك المشاهد كنماذج لمن سلبت إرادتهم من قِبل من يتحكم فيهم، كما ستكون حاضرة في ذهنه حين كان يبلور أفكاره حول الفئات التابعة والمهمشة في المجتمع. إضطر غرامشي وشقيقه الأكبر لقطع دراستهم لمساعدة والدتهم والعمل في إحدي المكاتب الحكومية. قال لاحقاً: «لقد بدأت العمل وأنا في الحادية عشرة ..كنت أعمل عشر ساعات باليوم وكان عليّ أن أحمل ملفات ضخمة يفوق وزنها وزني، وكثيراً ما قضيت الليل أبكي سراً لأن بدني كله كان يؤلمني. لقد عرفتُ دائماً أشدّ جوانب الحياة قسوة، ولكني تمكنت أيضا من تدبر أموري».

هذا المزيج من المعاناة المستمرة من ظروف خارجة عن سيطرته مقابل إرادته القوية في التصدي لتلك المعاناة هو ما ميّز شخصيته طوال حياته. كتب إلى شقيقه الأصغر ذات مرة: «لا تتوقع شيئاً من أحد. وبهكذا تستطيع تجنب الخيبات في حياتك. علينا أن نفعل فقط ما نعرف أننا نستطيع فعله، وأن نواصل دربنا". بعد خروج والده من السجن، واصل غرامشي تعليمه باذلاً أقصى جهده على الرغم من هشاشة وضعه الصحي، وتمكّن من إحراز نتائج عالية في اختبارات الثانوية العامة أهلّته للحصول على منحة جامعية للدراسة في مدينة "تورين" الصناعية في الشمال الإيطالي.

حين وصل «تورين» صدم بالواقع، وهو الآتي من جزيرة اعتبرت من أقصى الهامش الإيطالي المتخلف. من البداية واجه عقبتين: أولاً فقره المادي، ثم هشاشة وضعه الصحي. كانت المبالغ التي لديه بالكاد تكفيه للعيش في هذه المدينة الصناعية المتطورة ذات تكاليف المعيشة الغالية. اضطر لتأجير غرفة في علية إحدى المباني القريبة من الجامعة (تحوّل المبنى الآن إلى "فندق بيازا كارلينا"، أحد أفخم الفنادق وسط تورين).

كانت المنحة التي حصل عليها تتطلب حضوره المحاضرات، واجتيازه للاختبارات بمعدل عالي. ولكن هشاشة وضعه الصحي جعلته دائم الغياب عن المحاضرات. فجأة في شتاء عام 1912 تدهورت حالته الصحية بشكل سريع، إذ عانى من نوبات يومية من دوار الرأس، مصحوبة بتعكر في المزاج وفقدان مؤقت للذاكرة، لدرجة أنه واجه أحيانا صعوبة في التحدث بدون تأتأة الكلمات. وجد نفسه عالقاً في حلقة مفرغة: للحفاظ على منحته الدراسية في ظل غيابه المتكرر، كان عليه أن يضاعف جهوده بالدراسة، ولكن بمضاعفة جهوده، إزداد تدهور صحته الجسدية والنفسية. أشار المؤرخ إلى أنّ رسائل غرامشي خلال فترة الجامعة تعتبر من أكثر رسائله حزناً. أصيب بحالة اكتئاب حادة دفعته للعزلة. شعر بأنه سجين جسده، وسجين فقره في نفس الوقت. نظراً لتكرار غيابه عوقب من إدارة الجامعة بوقف المنحة، على الرغم من علاماته الجيدة.

في وقت ما من عام 1916 بدأ غرامشي بالخروج تدريجياً من اكتئابه، على الأرجح نتيجة انخراطه بنشاط في الكتابة الصحفية والنضال السياسي في صفوف الشبيبة الاشتراكية في المدينة، التي كانت تشهد آنذاك تظاهرات وإضرابات عمالية كبيرة. في ذلك العام كتب رسالة مؤثرة إلى شقيقته الصغرى "غرازيتا" ضمنها اعتذاره عن انقطاعه عنهم لفترة طويلة. كتب فيها: "ما كان ينبغي لي أن أعزل نفسي عن الحياة بهذه الطريقة. لقد عشتُ الفترة الماضية معزولاً عن العالم، وبدا الأمر كما لو كنت أعيش حلماً مزعجاً.. تدريجياً انقطعت كل الخيوط التي تربطني بالحياة وبالناس. عشتُ كل شيء للعقل، ولم أعش شيئا للقلب. ربما كان ذلك بسبب أن عقلي كان دائم المعاناة..لكنني عملت وبذلت أقصى جهدي، ربما أكثر مما تسمح به قوتي البدنية. عملتُ لأعيش، بينما كان عليّ أن أرتاح وأستمتع لأعيش. ربما لم أضحك كما لم أبكِ أبداً ... أشعر أنه ربما حان الوقت الآن لاتخاذ قرار، لا يمكنني البقاء هكذا لفترة أطول».

نحـــــنُ والمـــــــرض

عصمت الموسوي

في كتابه الجديد «ساعات ديكارت رديئة الصنع»، يتناول الدكتور نادر كاظم أسئلة من قبيل: لماذا نمرض، وماذا يحدث لو لم نمرض؟ وكيف تعامل الفلاسفة والمفكرون مع أمراضهم؟، وهو كتاب شيّق كونه يتناول موضوعاً وثيق الصلة بحياة الناس اليومية، ليرى أن المرض يُحفز المرء على التأمل ويُوسع نظرته للحياة ويحرره من اشياء ومخاوف كان سجيناً لها، كما أنه يعيد رسم شخصية الإنسان وهويته مستشهداً بتجارب عدد من الفلاسفة وكيف واجهوا المرض أمثال سوزان سونتاغ وسارتر وغيرهم، ولعل الأهم في هذه التجربة هو أن المرض رغم آلامه ومساوئه يصالح الإنسان مع الموت، وهي الفكرة المرعبة التي نتحاشى التفكير فيها ما دمنا أصحّاء.

ليس الفلاسفة وحدهم من يهزّهم المرض ويُغيّر قناعاتهم ويخلق المزيد من التحديات في حياتهم بل أن كثيراً من الناس العاديين يجنحون إلى التفكير الفلسفي تلقائياً حين يمرضون أو يداهمهم مرض عضال وصعب ومعقد وعصيّ على العلاج ومفتوح على كل الاحتمالات غير اليقينية، وكثير من مرضى الأمراض المستعصية يطرحون السؤال البديهي: لماذا أنا؟ وكيف ستمضي حياتي مع هذا المرض؟، وهل سأظلّ عاشقاً للحياة أم أنّ المرض وتوابعه وعلاجاته سوف تعصف بي وتحيلني إلى إنسانٍ آخر؟

عن المصالحات أريد أن اتحدث في هذا المقال، فالمرض لا يُصالحنا مع الموت فحسب بل مع أشياء عديدة في حياتنا، ألا ترى إلى نفسك وقد لامست أبعاداً إنسانية وأحاسيس ومشاعر لم تختبرها قبل المرض تجاه نفسك وتجاه الآخرين؟. المرض تجربة شديدة الخصوصية وشديدة التأثير علينا، وللمتأمل فهو يصالحنا أولاً مع ذواتنا ومع أنفسنا ومع إنسانيتنا، ألا نصبح أكثر رحمة وأقلّ قسوة على الناس حين نمرض؟

كثيرون يجنحون إلى المصالحة والتسامح مع أعدائهم، ومع كل ما يكرهون لأن الموت يصبح هو العدو الأكبر والأوحد.

وكثير من المرضى في مجتمعاتنا المتدينة يعمقون أواصر علاقاتهم بإيمانهم أو يتصالحون مع إيمانهم القديم ويعودون إلى الطريق الذي سلكوه ثم حادوا عنه. وفي مجتمعاتنا المتدينة يُعدّ المرض أقلّ وطأة، إذ يميل الناس إلى التوكّل والتسليم والقبول بما قدّره الله عليهم، يخففون من قسوة المرض على أنفسهم وعلى احبائهم وعلى مرضاهم بالقول «أجر وعافية»، وإنّه امتحان من الخالق للمخلوق الضعيف كي يختبر صبره، «وإذا أحبّ الله المرء ابتلاه» كما في الحديث النبوي، باعتبار الألم رحمة ومقدّمة للتكفير عن سيئاته، كي لا يكفر الإنسان بربه.

والمرض يصالح الإنسان مع التغيير الذي لا مناص

منه، فالمريض ومن أجل تفادي عودة المرض أوالألم المزمن والتدهور الصحي المستمر يُخاطر ويُغامر ويفعل أي شي ويضحي برغباته وشهواته ويُغيّر مجمل نظامه الصحي من عادات وأنماط غذائية وغيرها للوصول إلى مصالحة، وإن كانت وقتيّة، مع جسده ومع أمراضه وألآمه، وفي هذا التغيير ينتقل المرء إلى طورٍ جديد وغير مألوف في حياته.

والواقع إننا واهمونَ إذا راهنا على أجسادنا وعلى قوّتنا لأنه سيأتي يوم وتخذلنا وتطيح بنا فليس مقدراً لهذه الأجساد إلا أن تشيخ وتمرض وتصل إلى النهاية في الآوان أو قبل الاوان. «التقدّم في العمر» هو اسوأ جملة تسمعها من طبيبك أو مستشارك الرقمي الذي تعود إليه في كل صغيرة وكبيرة، أما الجملة الأقلّ وطأة فهي المتعلقة بجيناتك العائلية، حين يداهمك المرض العائلي الشهير الذي قضى على أسلافك قبلاً، لكنّه قد يصيبك ربما في عمر أبكر وأصغر لأنه وببساطة مكتوب ومقدّر عليك ومنقوش في تاريخ عائلتك الصحي، بيد أن الغرابة الحقيقية حين يصيب المرض أولئك الأصحاء الملتزمين بالصحة والغذاء والرياضة، والذين اعتقدوا أن ميكانيكية أجسادهم تسير كالساعة المتقنة الصنع لا كساعة الفيلسوف ديكارت التي أشار إليها الدكتور نادر بشكل مجازي، ذلك أن ديكارت وصف المرض بأنه عطلٌ ميكانيكي في آلية الجسم ويمكن إصلاحه.

هل ثمة نقاط مضيئة وإيجابية في المرض رغم استنزاف المال والصبر والمزاج، ورغم تغيّر «سفرة» الطعام وتحول تلك الوجبة الشهية إلى واجب ثقيل وطعم «ماسخ» بلا نكهة ولا ذوق؟

أغلب المرضى بأمراض مختلفة محرومون وبوصايا طبية وصحية صارمة، من أغلب طيّبات الطعام التي كانوا يُحبّونها ويتلذذون بتناولها. نعم المرض يعيد المرء إلى البساطة المفرطة في كل شيء، وإلى معدة كمعدة الطفل مصممة على هضم القليل والبسيط وغير المعقد.

تجلس على مائدة الإفطار الصباحية الخالية من المخبوزات والبيض والجبن والشاي والقهوة والحليب والسكر، لا شيء مما تعرفه وتحبه واعتدت عليه يُحفزك على الاستيقاظ من النوم. تعاود النوم، أو تقرر الصيام، أو تكتفي بوجبة طعام واحدة وتنطلق في رحلة البحث عن البدائل الغذائية والدوائية، ليس المرض شراً مطلقاً كما قد تتصورون. إنّه يصالحك أيضاً مع التغيير ويأخذك بعيداً عن التكرار الممل، ويجبرك على التفكير خارج الصندوق، ويصالحك مع متطلبات الجسد الجديد ويحضّك على متابعة كل ما تطرحه التكنولوجيا والأبحاث الطبية والصحية المتطورة في علاجات المستقبل وكلّ ما من شأنه أن يُحسن جودة الحياة ويطيل أمد العمر.

«نظرية الثورة الثُلاثية» في الصين والتحليل الماركسي (٢)

ج). "إنجاز الثورة حتى إكتمالها" هو الموضوع الرئيس لتاريخ الحركة الشيوعية العالمية. الثورة هي المُحرك الذي يدفع التاريخ إلى الأمام. بإعتبارها الحركة الثورية الأعمق والأوسع والأكثر شمولاً في تاريخ البشرية، فإن الحركة الشيوعية العالمية، التي تسعى إلى إستبدال الرأسمالية وإقامة الإشتراكية لتحقيقها، قد غيّرت مجرى التاريخ العالمي بِطُرُق غيرُ مسبوقة. من كومونة باريس في فرنسا إلى ثورة أُكتوبر في روسيا، ومن الثورة الديمقراطية الجديدة في الصين إلى الحركة البروليتارية الصاعِدة في الدول الرأسمالية المتقدمة وفي الدول النامية مُنذُ الحرب العالمية الثانية، أعادت هذه السِلسلة من الموجات الثورية بناء عِلاقات القوى بين الإشتراكية العالمية والرأسمالية العالمية بفاعلية، ومع ذلك، فإن الوضع الثوري مُعقّد وقابل للتغير.

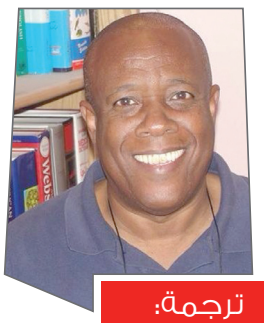

ترجمة:
غريب عوض

في وصيته الثورية التي كتبها إنجلز قبل وفاته (مُقدمة كتاب ماركس "النضال في فرنسا"، والمعروف أيضاً بـ "وصيته الأخيرة")، تنبأ إنجلز بإمكانية ظهور دروس إنتهازية مُتنوعة في الأممية الثانية. وحذّرَ مِراراً الرفاق الثوريين في مُختلف البُلدان من أن الأممية، مع تكيُفها مع السمات الجديدة للوضع الثوري المُتغيّر، يجب أن تُحافظ أيضاً على مواقفها الأساسية، أي ألا تتخلى أبداً عن سعيُها نحو السُلطة الثورية: "الحق في الثورة، في نهاية المطاف، هو الحق التاريخي الحقيقي الوحيد".

ومع ذلك، إيدوارد بيرنستاين Eduard Bernstein، المُمثل الرئيسي للأُممية الثورية الثانية؛ وكارل كوتيسكي Karl Kautsky، أهم مُنظري الحزب الإجتماعي الديمقراطي الألماني؛ وفيما بعد، ميخائيل غورباتشيف Mikhail Gorbachev رئيس الإتحاد السوفيتي السابق تلاعبوا وتخلوا، بل وخانوا سِلسلة المبادئ الأساسية ومُقترحات السياسة الماركسية التي أوصتهم بـ "حمل الثورة حتى إكتمالها". ونتيجة لذلك، إنقسمت حركة الأُممية الشيوعية بين الإشتراكية العِلمية والديمقراطية الإجتماعية، بل وحتى أدت هذه الأحداث إلى المأساة التاريخية المُتمَثلة في تفكك الإتحاد السوفييتي والتَغيُرات الجذرية في أوروبا الشرقية.

إن التجربة التاريخية ودروسها تكشف بشكل كامل بأن "التقدم بالثوره حتى إكتمالها" هو الخيط الأصيل الذي يمتد عبر تاريخ الحركة الشيوعية الدولية المُمتد على مدى 170 عاماً. إن رفض الثورة والتخلي عنها يعني وضع حدٌ لتاريخ الحركة الشيوعية العالمية، وحتى لمصيرها المُستقبلي. ونحنُ في عالم اليوم، "نحنُ لا نزال في الحِقبة التاريخية التي حددها ماركس Marx، "وهي "حِقبة الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية." وتستمر الحِقبة الراهِنة تحت سيادة الإمبريالية الجديدة، ولكن هي أيضاً الحِقبة التي خِلالها ستقوم الطبقة العاملة في جميع أنحاء العالم بإشعال "ثورة عُظمى" جديدة. وما دامَ هذه الحِقبة التاريخية العظيمة لم تتغيّر جذرياً، فإن الحركة الشيوعية العالمية يجب أن تغتنم الفُرَص المُتاحة أمامها وترفع مرةٌ أُخرى راية "إنجاز الثورة"، حتى تتمكن من الأمل في رفع القضية الإشتراكية العالمية تدريجياً من حوضها الحالي والمضي قُدُماً نحو ذروتها في القرن الحادي والعشرين.

د). "إن إنجاز الثورة حتى إكتمالها" مَطلبٌ عاجل إذا كان الحزب الشيوعي الصيني يُريدُ الإستجابة بشكل فعال "للنضال الكبير". وعلى مدى قرن من الزمن مُنذُ ولادته، نمى وتوسع الحزب الشيوعي الصيني خلال مسيرة نِضالاته. ويمر عالم اليوم في تغيرات كُبرى، غيرَ مسبوقة في القرن الماضي، وقد شهِدَ التطور الصيني تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني أنجح فتراته التاريخية في العصر الحديث. ومع ذلك، يرى بعض المفكرين أن التنمية تقوم على الأستقرار، مُعتبرين أن الصِراع يُدمر الإنسجام. ويواصلون الترويج لـ "نظرية إنطفاء الصِراع". تؤكد هذه النظرية أن التنمية تحتاج إلى بيئةٌ مُستقرة ومُتناغمة. في ظاهره يعكس هذا التحليل العلاقة بين السبب والنتيجة. في المجتمع الطبقي، لا يمكن تحقيق الأستقرار والتناغم إلا من خلال النِضال. السعي الآحادي الجانب نحو الأستقرار والتناغم الظاهري سيؤدي إلى مخاطر وأزمات. لفترة طويلة بعد المؤتمر الثامن عشر للحزب، كُنا "نتحدث فقط عن التناغم، لا عن القتال."

ولكن اليوم، كما قد أكدَ الأمين العام شي جين بينغ، نحنُ «نخوض 'نِضالا عظيما' مع الكثير من الخصائص التاريخية الجديدة.» وهذا لأننا بينما نمضي قُدُماً رِحلتُنا لتحقيق التجديد العظيم للأُمة الصينية، ونواجه بيئةً مَحلية ودولية مُعقّدة، فإننا لا نواجه فُرَصاً تاريخية لا تتكرر إلا مرة واحِدة في العُمر فحسب، بل نواجه أيضاً تحديات ومخاطر ومُقاومة وتناقُضات غيرُ مسبوقة.

يجب على الشيوعيين الإنخراط في «نِضالات كُبرى»، بدلاً من مُجرد التباهي.

مُنذُ المؤتمر التاسع عشر للحزب، أوضح الأمين العام شي جين بينغ عالمية النِضال العظيم، مُشيراً إلى أننا نواجه عَدداً كبيراً من النِضالات الكُبرى. وتشمل هذه النِضالات بِناء الحضارة الأقتصادية والسياسية والثقافية والإجتماعية والبيئية؛ وتعزيز الجيش والدفاع الوطني؛ والإنخراط في العمل بشأن قضايا هونغ كونغ، وماكو، وتايوان؛ ومواصلة العمل الدبلوماسي؛ ومواصلة بِناء الحزب.

إن النِضال العظيم كما هو أول «الأربعة العُظام» (والثلاثة الآخرين هُم «مشاريع كبيرة»، «مشاريع عظيمة»، و «أحلام عظيمة») هي لاتقتصر على مجال مُعيّن، بل، تمتد إلى مُجمل عملية بِناء الإشتراكية ذات الخصائص الصينية. تلمس ذلك المُخطط الشامل لـ «الخمسة في واحد»، وفي التخطيط الأستراتيجي لـ «الشموليات الأربعة» و «أفكار التنمية الخمس»، التي تشمل جميع المجالات في الحِقبة الجديدة. وتقع روح العمل الذي يتم القيام به الآن على جميع الجبهات في الإعتراف بأن عملنا يتمُ خلال عملية نِضالية، وبأن يجب أن نكون إستباقيين ولدينا الشجاعة لتحمُل المسؤولية. ولهذا، لكي نفوز بإنتصارات جديدة في النضال العظيم خلال الحِقبة الجديدة، هناك حاجة مُلِحة للتقدم بالروح الثورية لهذا النِضال.

بقلم: محرر مجلة
Cheng Enfu and
Yang Jun

داء السيمترية الأنثوي

د. زهراء المنصور

يمسك طبيب التجميل وجه حالته، ليقترح تعديلات جمالية في رسم الأنف، ورفع الخدين، وشد الجفون، ثم ملء الشفتين، وحقن الذقن حتى تتناسب مع المستوى الجديد للأنف والشفتين! وهكذا تتكون صورة مثالية من كاتلوج «دكاكين» التجميل، لتصبح كل وجوه الإناث نسخاً مكررة من بعضهن، لكنها في لغة الجمال تسمى «سيمترية» Symmetry؛ وبشرح مبسَّط: هي التماثل بين نصفي الصورة على نحو يفعل التوازن بينهما؛ بحيث يحقق الراحة والجمالية للعين الرائية.

وعلى هذا المنوال، يحرص صنّاع الفن على تحقيق نسب مريحة من هذا التوازن. قد لا يتناسب هذا مع الفنون التشكيلية، أو فنون المعمار الحديث؛ لاعتبارات جمالية بحتة. لكن على مستوى الدراما، يحرص كثير من المخرجين، في الكادر الخاص بهم، على الجمالية التي تلقطها العين المدربة، حين يكون هناك توازن ملحوظ في الحركة، حتى وإن كان الممثلان في وضعية الجلوس. فإن كان هذا سيظهر التنسيق على وضع جسديهما على نحو متساوٍ يجمعهما على سبيل المثال، وكوب قهوة بقرب طرفٍ كل منهما؛ بحيث إنك لو قسمت هذه الصورة من النصف، ستكون متطابقة. وهذا في حال عدم وجود ضرورة درامية توضح خللاً أو مشكلة أو تصدير وجهة نظر في الشخصية أو الموقف.

والإجابة عن: لمَ يجب أن يكون هناك سيمترية؟ ستكون بأن هذه الجمَالية ضرورة لإدراك ماهية التوازن في النظر، كما طبيعة الخلق؛ جسد الإنسان الذي يحمل جانبين متطابقين إلى حد الكمال. وقياساً على هذا الفن، ابتكر الإنسان في خلقه ما يتماشى مع هذه الطبيعة الكونية: التماثل والتوازن.

وقياساً على ما سبق؛ يتنوع الترتيب في المشهد الإبداعي الثقافي والفني بين الذكور والإناث؛ ويُلاحظ الحضور الذي تسجله قائمة الأعمال الفنية، بعد أن أخذت الأنثى وضعها الطبيعي منذ وقت ظهورها في الحياة العامة بشكل معتاد، وليس استثنائياً ومصدراً للدهشة والاحتفاء. فالحديث عن البدايات والصعوبات لم يُشبع بعد، لكنه يبدو حديثاً مستهلكاً إن لم يكن في مكانه الصحيح حقاً.

وعودة إلى مشاهدات حية –دون إحصاءات– أن الإناث يساوين أو يتفوقن على أندادهن من الذكور، بدءاً بلوحات الشرف والتفوق في المراحل الدراسية، وحتى حضورهن في المنابر الفنية والثقافية: في التشكيل، والكتابة الإبداعية، وفنون الأداء بلا استثناء، حتى في ما يتعلق بالفنون التي تتطلب قوة عضلية لا تتوفر في كل الإناث، توجد من تقبل هذا الاستثناء على سبيل التحدي أو الرغبة في التميز. أما لو عدنا إلى الأصل؛ فالذكور يزيدون بنسبة ضئيلة في هذا الكوكب بمقدار تقريبي 51٪ مقابل 49٪ ، أي ليس العدد المكتسح الذي يفسر ظاهرة الهيمنة المقلقة، التي نستقرئها دون إحصاءات دقيقة أيضاً –للأسف–، في أن النسبة المذكورة لا تتناسب ووجود الجنسين بشكل متساوٍ في محل القرار الثقافي والفني على وجه التحديد.

لكن! في الوقت الذي نرى فيه المرأة العربية حاضرة بقوة في كل المجالات، يتضاءل حضورها عند لحظة اتخاذ القرار! المرأة موجودة في الصورة، لكنها غائبة عن الكواليس؛ حيث تُصنع المعايير وتُحدد الاتجاهات. إنها المفارقة الكبرى: حضور أنثوي في الساحة، وغياب شبه تام في مراكز الثقل والقرار.

لسنا نعيدُ اختراع العجلة، ولا أظهر عبارات نسوية مؤيدة ومكررة حد البؤس لاستجداء حق أو نيل

استحقاق. أنا –شخصياً– مع الكفاءة تماماً بدون «التجندر»، وبدون إظهار مظلومية لها ممن يؤمن بها ويتصدر باسمها. لكنه سؤال مشروع مع كل الجهود التي تبذل: لمَ التواجد لا يتناسب مع حضور الكثافة الأنثوية في مجالات الإبداع تحديداً، والتي تتطلب جهداً فردياً خالصاً؟ لمَ عليهن أن يثبتن جدارة أكبر من المعتادَ حتى يتم إدخالهن الدائرة التي لا يبذل فيها الذكور من المبدعين سوى إظهار «النوع» في هوياتهم الشخصية؟

يعلم الجميع بما تمر به الأنثى في كل المجتمعات من تربية تكرس فيها الغريزة المحمودة في الأمومة وتكوين أسرة، في اللعب والسلوك والتأهيل، والتي تقودها أمنيات وردية تنتهي بالزواج لبدء حياة جديدة. لكن هل يمنع هذا أن تكون لها حياة عملية ناجحة وموازية إلى جانب الحياة الأخرى المُتصوَّرة؟ وهل يمكن مساواة الطريق الممهد للذكر لنجاح معتاد ومتوقع وقابل للتشجيع والتطور، بنفس النجاح، لكنه طريق آخر محفوف بالمتاعب، وتثبيط الهمم، والتوعد بتهديد استقرار أسرة، أو –في حالات ألطف– التخيير بين النجاحين: الأسري أو المهني!

ويبدو من الطبيعي أن يكون هناك سؤال استنكاري بأنه رغم الحضور المذكور والمحسوس في مجتمع الإبداع، يتقلص وجود الإناث في لجان القرار الحاسمة للاختيار/ التحكيم/ وأي مواقع قرار، وليس مقصوداً بها هنا الوظائف الحكومية في هذه المجالات المعنية بملء فراغ، أو حسابات أخرى ليست من بينها الكفاءة الحقيقية.

ولتوصيف هذه الظاهرة، لا يستدعي الموضوع أن نلجأ إلى إحصاءات دقيقة؛ إذ يكفي إلقاء نظرة عامة سريعة على اللجان التي تقام من أجل أغراض قصيرة أو بعيدة المدى، ليتبين عدم التوازن الواضح بين الجنسين. فإن ظهر عنصر نسائي واحد، فهو فضل عظيم. فلا توازن على الإطلاق، مع الاخذ بالاعتبار وفرة الأسماء النسائية البارزة، ولكن يظل حضورها استثناء، مع مفارقة الوجود المكثف والجدير في مختلف المجالات، ولكن تظل السيمترية منعدمة في وجود وجه أنثى واحدة مقابل خمسة أو سبعة أو سبعين من الذكور!

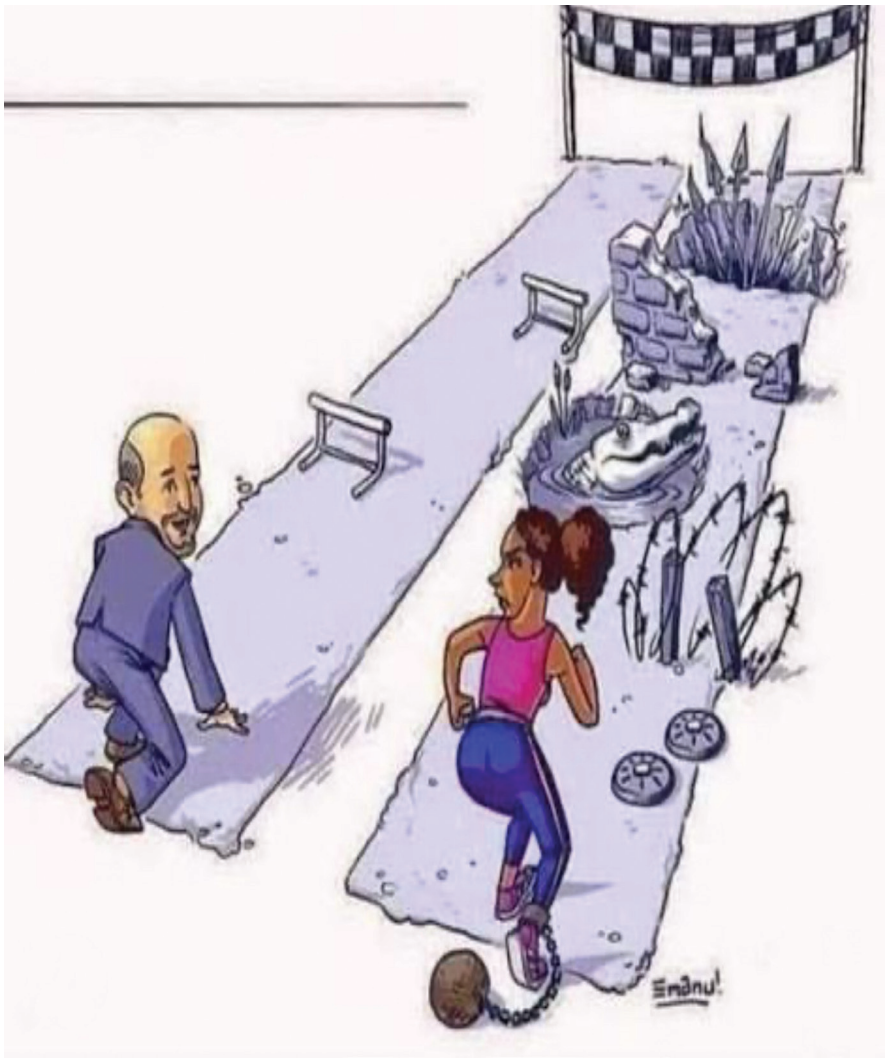

ولإحقاق الحق؛ تحظى هذه الأنثى الوحيدة بامتيازات الندرة والاحتفاء، لكن هل هي مستحَقَّة بالفعل؟ وهل هذا الغياب سببه رفض، أو اعتكاف العنصر النسائي عن قبول أماكن القرار؟ أم غياب تفرضه المسئوليات الاجتماعية التي تتطلب وجوداً يومياً وقوياً ومستمراً تعتمد عليه العائلة في المقام الأول؟ والإجابة بنعم ستكون غير مطابقة لقراءة الواقع الذي توجد فيه المرأة موضوعاً وتمثيلاً عن نوعها بدون وكالة مباشرة من نظيراتها، بل إنه إبراز لمفارقة الغياب المعتاد، برغم الحضور الطاغي. وماذا تعني المسئولية ضمن حزمة الالتزامات الصارمة المفروضة والمنفذة عن قناعة وطاقة حب غير محدودة؟

وإذا ما أعدنا قراءة الحالة، لتحليل أسباب هذا التقلص الواضح، سنعيد الأمور إلى نصابها؛ كون هذا الخلل قائماً على غياب سياسات واضحة تلزم أو تراعي التوازن الجندري في تشكيل هذه الكيانات أو اللجان، حتى ولو عبر طريقة التمثيل النسبي (الكوتا)، التي كنت أراها شخصياً مرحلة مؤقتة، توجد حتى مرحلة الاعتياد، ودون الاحتياج لفرضها لاحقاً، لانتفاء الحاجة لها؛ ولأن الوجود بالنوع سيكون للكفاءة، وليس لجنس الشخص. إلا أن هذا يبدو ضرباً من التفاؤل المبالغ فيه. فلازالت الحاجة قائمة لإثبات صلاحية تبوُّأ الأنثى مكانة مستحقة لها، حتى وإن كانت أكفأ الموجودين.

نحتاج أيضاً –مضطرين– إلى ترديد عبارات كليشيه مثل: هيمنة الفكر الذكوري التقليدي في مؤسسات الثقافة. فهذا الشكل ليس عابراً ولا فردياً، بل هو انعكاس لثقافة مؤسسية واجتماعية تراكمت عبر عقود؛ ثقافة ترى في الرجل الحيادي/ العقلاني مؤهلاً أكثر للجلوس على مقعد الحكم، فيما تُحاصر المرأة في قوالب نمطية تجعل حضورها استثناءً أو ديكوراً لتجميل الصورة، وكأنّ العدالة في القرار والحكم أو الصرامة الأكاديمية حكرٌ على الذكور وحدهم. وهناك أيضاً التصورات النمطية عن موضوعية الرجل، مقابل انحياز المرأة التي تلحق بها تهمة نقص العقل والدين، مقابل كمال الذكر وملائكيته، والتفكير بجدوى أن تكون هناك ذاكرة مجتمعية وثقافية تحفظ سير الرائدات باعتبارهن القدوة التي صنعت أسماءهن مغموسة بصعوبة البدايات الحقيقية.

ولأن هذا الوجود ليس رفاهية على الإطلاق؛ فانعكاساته تبدو جلية في فقر الرؤى التي يعتمد قدر كبير منها على التفاصيل التي تحتاج إلى موهبة تبرع فيها معظم الإناث، بحكم الفطرة المجبولة عليها، مع ضرورة كفاءتها للمكان المنصوص لها، وسينتج عن هذا إنتاج قراءة أحادية للأعمال الفنية والثقافية كافة، دون مراعاة حساسية النوع الاجتماعي، أو التمثيل المتوازن، كما أنه سيضيق الفرص للأجيال القادمة ممن يرغبن في سلك نفس الطريق، باعتبار أنه ما الذي حققته من سبقننا في المجال؟

إن غياب المرأة عن محل القرار يعني غياباً لرؤية مغايرة، وصوت مختلف، وتجربة حساسة لأسئلة الهوية، يُقصي نصف المجتمع من المشاركة في صياغة أحكامه، وهذا ما يرسّخ قراءة أحادية، ويكرّس عجزه عن تجديد لغته النقدية، وعن تمكين أجياله الشابة من اتباع نفس الخطى التي مر بها من سبقوه في إقصاء يكون الأصل فيه بنداً أساسياً وليس ترفاً اختيارياً.

ومعالجة هذا «الداء» لا تتطلب أكثر من إرادة واضحة وسياسات عادلة تراعي التوازن الجندري في التمثيل المؤسسي؛ بحيث لا يُنظر إلى وجود المرأة بوصفه استثناءً أو مِنّة، بل ضرورة معرفية وفكرية لصحة المشهد المسرحي. فالسيمترية المنشودة ليست في حضور عددي متساوٍ فقط، بل في إيمان حقيقي بأن المسرح لا يكتمل إلا حين تُسمع كل الأصوات، ويُمنح القرار للذكور والإناث معاً، كلٌ بما يحمله من رؤية وتجربة. هكذا فقط يمكن أن نتحدث عن مشهد ثقافي وفني عربي متوازن، خالٍ من عاهة السيمترية الأنثوية.

«لا حليب في مدن الثلج» لجليلة السيّد

د.بروين حبيب

كتبت أغاتا كريستي مرة «حبّ الأم لطفلها لا يشبه أي شيء آخر في العالم. إنه لا يعرف قانونًا ولا شفقة، ويتحدى كل شيء ويسحق بلا رحمة كل ما يعترض طريقه»، استحضرتُ هذه المقولة وأنا أنهي رواية «مدن الحليب والثلج» للروائية البحرينية جليلة السيد الصادرة قبل شهرين (يونيو ٢٠٢٥) عن دار الرافدين. وهي الرواية الثانية للكاتبة بعد روايتها الأولى «أنا لست لي»، وتسع سنوات من الفارق الزمني بين صدور الروايتين أنضج تجربة جليلة فقدمت لنا رواية مغايرة في أجوائها وقضاياها.

على مساحة ٢٢٠ صفحة مقسمة إلى ٢٥ فصلا تتناسل الحكايات على لسان بطلة الرواية وراويتها لولوة البحرينية. والعتبات النصية الثلاث الأولى في الرواية تسلمنا مفاتيح تدخلنا مباشرة ودون مقدمات في ثيمة الرواية الأصلية. بدءا من العنوان «مدن الحليب والثلج» الذي يجمع النقيضين وإن اشتركا في صفة البياض التي تكون أحيانا مخادعة، فالحليب ارتباط بالأرض واستدعاء للأمومة التي تمثل الخصب والحنان، ويمثل الحليب أيضا صلة الوصل بين الأم وأطفالها، أما الثلج فخلف المظهر الجميل ذي البياض الناصع يكمن البرد والموت والوحشة وانعدام العواطف، وهذا جميعه نجد تجلياته في الرواية.

أما الإهداء العتبة النصية الثانية: فجملة تلخص لنا الرواية في كلمات معدودة «لمغتصبي الطفولة باسم الحرية والحماية، سيقاضيكم التاريخ وأنا» ويفتح شهية الأسئلة: من هم مغتصبو الطفولة؟ ولماذا يحاكمهم التاريخ؟ وما علاقة الكاتبة بهم؟ ولا تمهلنا الكاتبة لنسترد أنفاسنا حتى تفاجئنا بجمل افتتاحية صادمة «سحبوا جُمان ثم يوسف وكريم، ثلاثُ أرواح تُنتزع مني بقرار بارد. بشخطة قلم فوق ورقة، كأن الأمومة بندٌ قابل للحذف وقلبي مجرد ملف» في إحالة واضحة وصريحة لثيمة الرواية الأساسية: أم تُحرم من أبنائها الثلاثة. ونفهم من الفصل الأول أن الخاطف مؤسسة رأت المصلحة الفضلى في إبعاد الأولاد عن أمهم، ولكن.. كيف وصلنا إلى بؤرة التوتر هذه؟ ذلك ما ترويه لنا جليلة السيد بعد هذا الفصل التمهيدي المقتطع من سياقه والذي أثار فضول القارئ.

هذه الأم ليست سوى امرأة بحرينية تروي قصتها بنفسها، شاءت لها أقدارها أن تعيش المآسي المتتابعة منذ لحظة ولادتها، فحتى انتماؤها لوطنها البحرين يكدّره أن أمها سورية فبقيت لولوة ينظر إليها على أنها «بنت السورية» من إخوة الدم أنفسهم، الذين ما أن توفي والدهم حتى زوجوها وهي فتاة مراهقة لرجل يكبرها سنا، إذا بحثنا له عن خصلة لم نجد سوى البخل «فغضبه ينفجر كلما فكر في فواتير الكهرباء، يخشاها أكثر مما يخشى الله»، وخلال ثلاث سنوات لم يجمع الزوجين أي موضوع مشترك ولا فكرة ولا ذكرى تستحق البقاء، كانت نتيجة هذا الزواج غير المتكافئ أن تطلقت لولوة وهي في التاسعة عشر من عمرها بعد أن أصبحت أما لبنت مميزة سمتها «جمان» مثل والدتها الشامية. وكان طلاقها فسحة أمل جديدة فتابعت تعليمها وتوظفت وربّت ابنتها بمساعدة والدتها، وكان يمكن للحياة أن تستمر وادعة لولا حادثة أحدثت شرخا في علاقتها بطفلتها، فقد تعرضت جمان للتحرش (وهو الثيمة الأخرى الأساسية في الرواية) من قبل حبيب

من الناحية الفنية كتبت جليلة روايتها بلغة شعرية عالية التوتر حادّة أحيانا، ولجأت إلى العامية السورية أو البحرينية في الحوارات، وحسنا فعلت حيث أعطت نصها حيوية وحياة

أمها المثقف الشهم الذي تطوّع بإيصال الطفلة إلى مركز الموهوبين وكان في عيني لولوة «رجلا يشبه فصلا نادرا في كتاب لا يعاد طبعه»، فخلف المظهر اللائق والثقافة والنبل يختفي وحش آدمي. ويطل التحرش ثانية برأسه مع البنت نفسها وقد أصبحت مراهقة عند أسرة تبنٍّ في السويد لتصبح جمان «ترند» في وسائل التواصل وخبرا موجعا «انتحار فتاة عربية من أطفال السوسيال بعد تعرضها للاغتصاب عند عائلتها البديلة جراء تناولها جرعة كبيرة من المهدئات».

وقد مهدت الروائية لهذا الحدث المفصلي في بنية الرواية، بحكايات أشبه بروافد مائية تصب في النهاية في نهر واحد، باقتدار فني على البناء لا نستشعر معه بأي نشوز ولا نقلات مفاجئة، فلولوة تزور بيت خالها في الشام مع ابنتها وتغرم بابن خالها عصام رفيق الطفولة والمشاكس، الذي يلتحق بالجماعات الإسلامية في الموصل مكرها بعد أن عاش القمع من نظام قال عنه «عاش في سريرنا جعلنا نشك في أحلامنا يراقب نبض الفكرة وهي تختمر في رؤوسنا» لدرجة أن أصبحت النظرة في سوريا تهمة والاسم قيد والشارع فخ. ولكن ما فر إليه عصام ليس أفضل مما فر منه، فقد اكتشف أن «داعش لم تكن يوما خلاصنا، كانت انعكاسا لوحشية عايشناها بأم أعيننا» فيبدأ مع حبه القديم لولوة –التي أصبحت زوجته– حياة بعيدة عن القهر والقمع في بلده، لاجئا في بلاد الثلج السويد، راجيا هو وزوجته أن ينعما بحياة هانئة في ظل الديمقراطية والحرية التي لطالما تغنت بها البلدان الغربية، ولكن وحشا يدعى «السوسيال» (إدارة خدمات الشؤون الاجتماعية) يقلب حياة الأسرة الوادعة إلى الجحيم بعينه، فلولوة التي رزقت بولدين من ابن خالها عصام أحدهما مصاب بطيف التوحد والثاني رضيع يبلغ عدة أيام ينتزعان منها فيما يشبه عملية اختطاف من السوسيال، والتهمة جاهزة «الأم تعاني من تعلق مفرط وتعيق استقلال الطفل» ويسلَّم الأطفال إلى عوائل غريبة مثلما اشتكى رجل في مركز الإيواء «ابني الأكبر عند عائلة مسيحية، الأصغر عند زوجين مثليين، والبقية لا أعلم أين هم». ولم تقف المأساة عند هذا الحد فحتى جمان التي أصبحت في الخامسة عشر من عمرها يفصل بينها وبين أمها لأن الوالدة صفعت ابنتها حين علمت أنها تدخن، وبحرمان الأم من أطفالها الثلاثة تكشّف وهم الغرب المتحضر الذي يعامل الأم كموظفة والأب كرقم في ملف، ويلخص مقطع في الرواية خيبة الظن الكبيرة، بل الصدمة جاء فيه: «السويد... تبدو وطنا آمناً مثالياً: حقوق، حرية، رعاية. نظن أننا نجونا. أن أطفالنا أخيرًا بأمان. لكننا لا نعلم أن الخطر لا يأتي دائما بصوت القذائف، أحيانًا يلبس قناع العدالة، ويخطفهم باسمها».

تعددت ثيمات رواية «مدن الحليب والثلج»، فإضافة إلى الثيمتين المركزيتين: حرمان الوالدين من أطفالهم منَ السوسيال، والتحرش ونتائجه الكارثية، تناولت جليلة السيد في روايتها الاجتماعية مواضيع راهنة مثل وباء الكورونا الذي حال دون رجوع لولوة من البحرين إلى السويد لفترة طويلة من الزمن وقد اختصرت الكاتبة آثاره بذكاء في قولها «صارت مجالس التعزية عبارات رثاء في مجموعات الواتس آب، وبات الموت إشعارا إلكترونيا باردا يصل ويختفي في زحام الرسائل»، كما تناولت أحداث سوريا حتى بعد سقوط النظام، وتعرضت لجماعات الإسلام السياسي مختصرة تناولها في جمل موارية لا تصدر أحكاما قيمية، كأنْ تعرضها بصيغة غير قطعية «أسمع من أصدقائي همسا عن عودة الخلافة، عن أمجاد يراد لها أن تبعث من رماد، يتحدثون بحماسة تشبه حماسة الأطفال حين يركضون وراء طائرة ورقية في يوم عاصف» وهذا مما يحسب للروائية أن أبقت مسافة أمان بينها وبين نصها. وختمت جليلة السيد روايتها بنهاية شبه سعيدة حيث تجد لولوة بعض العزاء في وطنها البحرين، وفي عائلتها الكبيرة التي كفّرت عن أخطائها السابقة من منعها حقها في الميراث وتزويجها ضد إرادتها وهي مراهقة، فالأفضل أن يأتي الإنصاف متأخرا من ألا يأتي أبدا.

من الناحية الفنية كتبت جليلة روايتها بلغة شعرية عالية التوتر حادّة أحيانا، ولجأت إلى العامية السورية أو البحرينية في الحوارات، وحسنا فعلت حيث أعطت نصها حيوية وحياة، كما كسرت إيقاع السرد مرتين، أولهما حين تركت لولوة ترتاح من وجعها وعوضت بوحها برسالة من 13 صفحة لعصام يروي فيها سر التحاقه بالجماعات الإسلامية، وكذلك فعلت في آخر الرواية حين نقلت في ست صفحات مقاطع من مذكرات ابنتها جمان تصف القاع الذي سقطت فيه من إدمان حبوب مهدئة ورعب يومي من وحش متحرش. وفي متن الرواية جمل لافتة تصلح للاقتباس مثل قولها «الإنسان لا يصقل بالكمال، بل بالتشظي» أو «وصايا الأموات تنسى سريعا». كل هذا صنع من رواية «مدن الحليب والثلج» نصا آسرا بموضوعه الجديد ولغته المتقنة، وجعلنا نؤمن بفكرتين: أن الغرب ليس بذلك النقاء الذي يدعي (وما يجري في غزة قد نزع عنه ورقة التوت)، وأن الأمومة – كما ورد في الرواية «أن تضعي طفلك جهة القلب، وتضعي بقية العالم على وضع الطيران».

بتول حميد

رقّــة المنــامــة

لا شيء يشبه رقة المنامة. ولا حزنها أيضاً. الأبنية المتهالكة كتجاعيد سيدة فاتنة تشف عن شباب ناعم يداعب أهداب سيدات باكيات تحت سوادٍ محرم «يا حُسين».

رائحة البهار اللاذعة في السوق القديم وبريق الأساور الذهبية يجاور أمتار القماش الفاقعة الواقفة على أنفاس الفرح.

تحلق الخيوط الصفراء في باب البحرين مكتسية بالقيظ والرطوبة ونسمة صيف عابرة تشبه الحنين. كأنما الخيوط خصلات شعرنا تستسلم لحنوْ الجدة، تتأمل حكمتها وتضجر تحت تأوهها وأنينها.

تخبرني إحدى صديقاتي أنّي أحكي بشاعرية، ثم تخفف نبرتها وتستدرك: تصفين الأشياء كطفلة ما زالت تقبض على الأشياء بكف دهشتها.

أحتال على الطفلة في حلمي ترسم بحراً يكف عن بكائه حين يداهمه البياض؛ أقول في سري: اللؤلؤ الذي يتألم بمخاض الصدف ولطمات الأمواج، هو ذاته الذي يتدلى على صدور الجميلات.

معضلـــة الكـــاتـــب

صنع الله إبراهيم، ابن جيل الستينيات، تشكّل وعيه الأدبي وسط متغيرات كبرى. لقد كتب أعمالاً سعت إلى كسر البنية التقليدية. ترتكز تجربته على توظيف الأرشيف والوثائق لرصد تجاربه الحياتية في السجن والسياسة والمجتمع، لكنه لم يسقط في مطب الأيديولوجيا المباشرة. يطرح موضوعات شائكة بتقنيات أدبية عالية.
كتب صنع الله إبراهيم ست عشرة رواية، وثلاث ترجمات وبضعاً من قصص الأطفال. صدر عمله الأول «تلك الرائحة» عام ١٩٦٦، عقب خروجه من السجن.

عبدالله زهير

جاء عمل «تلك الرائحة» كنص تجريبي يشظي البنية السردية التقليدية، وقد أشاد به يوسف إدريس في مقدمة الطبعة الأولى، قائلاً: «إني لشديدُ الاعتزاز بصنع الله الفنان، وسعيدٌ حقيقة وأنا أُحس أنه قد آن الأوان لتقرأه الحركة الفنية والأدبية في كتاب كامل في قصة من أجمل ما قرأتُ باللغة العربية خلال السنوات القليلة الماضية .إن «تلك الرائحة» ليست مجرد قصة، ولكنها ثورة، وأولها ثورةُ فنان على نفسه، وهي ليست نهاية، ولكنها بدايةٌ أصيلة لموهبة أصيلة، بدايةٌ فيها كل مَيْزات البداية، ولكنها تكاد تخلو من عيوب البدايات لأنها أيضًا موهبةٌ ناضجة"(ص28، ط3).

لكن المعضلة في جانب آخـر، ليست في ملاحقة السلطة السياسية له، بل أيضا هناك السلطة المجتمعية، حيث يقول صنع الله في مقدمة الطبعة الثالثة:" جلبَت لي «تلك الرائحة» أيضًا مشاكلَ عائليةً عديدة؛ ففيها يتحدث الراوية عن أخٍ وأختٍ وعمٍّ وأقـارب، ساردًا تفاصيلَ حميمةً عنهم، من شأن بعضها أن يصدم القارئ.

لم يُثر ذلك شيئًا عند نشرها في المرة الأولى؛ فبعضُ أقـاربـي الذين تنطبق عليهم هذه الأوصاف كفُّوا عن ممارسة القراءة أو انتهت علاقتهم بفن الـروايـة عند «يوسف السباعي» و«إحسان عبد الـقـدوس»، ومَـن قـرأهـا منهم صدفة – من مُجايليَّ أو من الجيل الأكبر– لم يأخذ عملي على محمل الجد، واعـتـبره في الـغـالـب نـزوةً من نزواتي التي اشتُهرتُ بها وقادَتْني في السابق إلى السجن. لكن الأحفاد كان لهم شأنٌ آخر. فـعَـبْر العقود نشأ جيلٌ منهم وصل إلى الجامعة، ومن سوء حظي أن البعض منهم أُغرم بالقراءة، وقراءة الأدب بالذات. ثم إن العصر صار غير العصر؛ فما كان يبدو مقبولًا منذ ثلاثة عقود، صار الآن رجسًا من عمل الشيطان في ظل الظلامية التي أُسدلَت أستارها على البلاد. ووقعَت إحدى طبعات «تلك الرائحة» في أيدي بعضهم، فحملوها إلى الآباء والأجداد متسائلين، وربما ساخطين. وجاء اليوم الذي تُوفِّيَت فيه إحدى قريباتي. علمتُ بالخبر في الصباح، وبدأتُ أستعد للقيام بواجب العزاء. وإذا بزوجتي تحمل إليَّ النعي المنشور في جريدة الأهـرام قائلة إنه لا يوجد ما يدعوني للخروج. وعرفتُ السبب عندما قرأتُ النعي الذي يضُم أسماء الأقارب؛ إذ وجدت مكان اسمي فارغًا؛ مما يوحي بأن أحدًا تذكَّر بعد إعداده للنشر ما «ارتكبتُه من جرائم»، وتمكَّن من إزالة اسمي في اللحظة الأخيرة! ربما أمكن اعتبار كل ذلك بعضا من متاعب المهنة الضرورية، وربما أمكن اعتبارها مؤشرًا على نجاحي في إقناع القارئ بالأكذوبة التي هي الرواية، لكني ما زلتُ أتمنى أن يفصل القارئ بين شخصي والراوية؛ فهو كاذبٌ كبير، حتى لو صدَق!"(ص8–9، ط3).

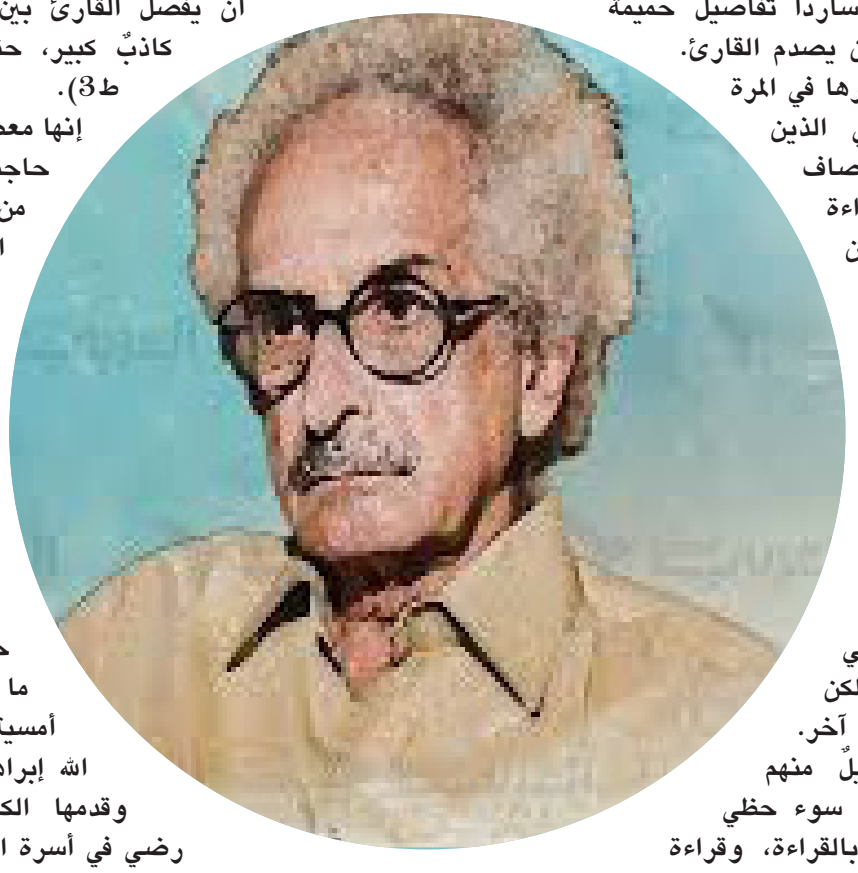

إنها معضلة كبيرة؛ لأن الكاتب مع حاجته إلى هامش لا بأس به من الحرية من قبل اللوائح القانونية، يحتاج أيضاً إلى تفهم وحرية أكبر من قبل النظام الاجتماعي، ومن بينها المجتمع الأدبـي الـقـارئ. لأن العمل الأدبـي في النهاية هو هذا المزيج العجيب بين ما عاشه ورآه الكاتب حقيقةً وبين ما تخيله. هذا ما ظللتُ أفكر به البارحة في أمسية "الحياد السردي صنع الله إبراهيم نموذجاً" التي أدرتها وقدمها الكاتب الصديق عبد الإله رضي في أسرة الأدباء والكتاب..

إنها معضلة كبيرة لأن الكاتب مع حاجته إلى هامش من الحرية من قبل اللوائح القانونية، يحتاج أيضاً إلى تفهم وحرية أكبر من قبل النظام الاجتماعي

(قصة قصيرة)

شاب في دوامة قسوة الحياة

في يوم من أيام الشتاء البارد في احدى أزقة منطقة النعيم صبية يلهون في لعب الكرات البلورية الصغيرة (التيلة) وكان بين الصبية شاب قصير نحيف البنية يدعى أحمد، يبذل جهداً. يحاول الكسب في اللعب مثله مثل الآخرين من رفاقه، رغم أنه كثيراً ما يخفق الا أنه كثيراً ما يصيب بسبب عزمه واصراره على التحدي.

منذ صغره يتوق إلى الفوز في أي لعبة وخصوصاً لعبة الحبل، فهو بارع فيها بلا منازع وبجدارة كونه نحيفاً يستطيع المرور من تحت الحبل بسهولة مهما كان هبوط الحبل فهو أنحف شاب في عموم منطقة النعيم لدرجة أنه يتعرض للسخرية بسبب ضآلة جسده الملفت وفي هذه اللعبة لا ينافسه أحد بشهادة كل أبناء المنطقة كباراً وصغاراً.

قاسم الحلال

في أوائل الستينات من القرن الماضي يمرّ أحمد ابن الخامسة عشر بضائقة مالية جعلته في حيرة من أمره، حيث صار تفكيره متأرجحاً بين الدراسة والعمل، وبينما هو في دوامة الاختيار استقرّ على مواصلة الدراسة والعمل في فترة ما بعد الدراسة، بعد أن وجد عملاً في ورشة نجارة لصنع الأثاث، بحكم أنه سبق وأن تعلّم النجارة مع خاله، ووفق في الشروع في العمل لمدة تقارب العام، حيث أغلقت الورشة لأزمة مالية عصفت بصاحب الورشة، رغم أنه قطع شوطاً رائعاً وتعلّم الكثير، الأمر الذي شجعه على الدراسة.

اتخذ قراراً آخر لأنه مصر على إكمال تعليمه فأخذ طريق بائع متجول، وصار فترة يبيع «الحلاوة» والفول السوادني، حيث يقوم بتحميصه في البيت ثم صار يبيع «حلاوة» كانت رائجة آنذاك تسمى (عنبري)، وهي عبارة عن ديك من الحلاوة القاسية ترتكز على عود خشبي طويل ومن ثم قام ببيع الشراب الشعبي (الناملیت)، المحبب لدى الكثير من الأطفال، لكن البعض من الصبية استغل الإقبال والتدافع وقت البيع ويتنصلوا من الدفع زاعمين انهم دفعوا وسط الفوضى والضجيج مستغلين لعبة رهان على (طاش ماطاش)، فكثيراً ما يخسر ويعود للبيت مكسوراً وحزيناً، وفي الليل أثناء النوم يبكي بينه وتفسه، لا يريد أحداً يعرف أنه يبكي، فقد تقلب في طرق ووسائل لكي يكسب بعض المال ويشتري الكتب لأنه يحب قراءة الروايات كثيراً، فانعكس هذا على نفسيته، وتساءل بينه وذاته: لماذا يقوم نفر من زملاء المدرسة بسرقتي؟ لماذا؟؟ لأنه يتعب حينما يشتري الناملیت من وسط المنامة وهو ذو بنية ضعيفة ويأتي البعض ليسرقه.

وسط هذه السنين التي عانى فيها أحمد كماً من القسوة، كبر وراودته فكرة تعلم السياقة بعد أن بلغ السابعة عشرة من عمره، لكنه أراد أن يضمن عملاً أولاً، فكّر ملياً واستقرّ ذهنه أن يلتحق بالدراسة في مدرسة المنامة الصناعية وفعلاً دخل مدرسة الصناعة والتحق بقسم اللحام والفبركة والسباكة وتخرج في مرتبة الرابع عشر.

وبعد معاناة في البحث عن عمل وجد عملاً في «بابكو»، من خلال شركة أحمد منصور العالي لمدة تقارب عامين وسبعة أشهر. بعدها تقلب في الكثير من الشركات بعضها سرح بعد إضرابات لتعديل وتصحيح أوضاع العمال المعيشية بعد موجة الغلاء التي تجتاح السوق في أحيان مستمرة، فقد انقلب وضعه المعيشي واتسمت حياته رهن الأوضاع التي تساور أكثر الشباب العمال التواقين للاستقرار المعيشي والنفسي، وصار مثله مثل أي شاب تعرض للعسف والاضطهاد، ما دفعه لأن يتطلع لأمور الحياة بطريقة جادة وواسعة وساقه الفضول لأن يتوسع في القراءة وينتقل بصورة عفوية وطبيعية من قراءة القصص والروايات إلى الكتب الثقافية ليتعلم ما الذي يدور حوله وصار يتجمع مع رفاقه من العمال ويستمع إلى النقاش الذي يدور عما يجري في الكواليس السياسية، عن اضطهاد الشركات للعمال والغرض من تسريح العمالة الوطنية واستبدالها بعمالة أجنبية، وذلك لرخصها وسهولة فرض قوانين تناسب العمالة الأجنبية، حيث لا يستطيع العمال الاحتجاج حتى لو تعرضوا للاضطهاد والتعسف.

أصبح أحمد شاباً مثقفاً متفهماً، لا يفارق الكتاب ولا المنتديات، وصار واحداً من أعمدة العائلة في المسؤولية، وأصبح متسماً بالهدوء والصرامة والنباهة، حيث الهمته القراءة الكثير من العلم والمعرفة الثقافية يستمع وينهم المعارف من الذين سبقوه في هذه الدروب وأصبح مواظباً على قراءة الدراسات والنشرات العمالية وناشطاً في الحركة العمالية ومواظباً على العمل النقابي في الشركات التي يعمل فيها.

بيــن فقــديــن

كانت أيامًا مفعمة بالألم والحزن، ثقيلة الوطء، حين كنت أزور الصحفية بروين نصر اللّه في مجمع السلمانية الطبي، وأزور أختي نادية في مستشفى آخر في الوقت نفسه. والمفارقة أنّ بين رحيل أختي ورحيل بروين تسعة عشر يومًا فقط. جاء الفقد مضاعفًا، لا أعرف كيف أتعامل معه.

أيام ثقيلة توهم نفسك أنها تمضي؛ تذهب وتجيء، تقضي متطلبات يومك الأساسية والضرورية، وتظن أنك صلب وقوي وهادئ جدًا، بينما جسدك يعرف ويختبر شيئًا آخر تمامًا.

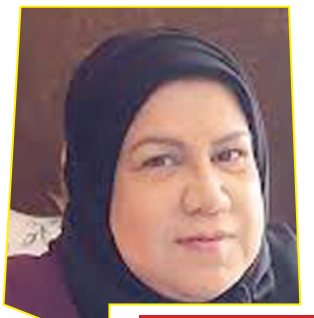

نعيمة السماك

في يوم وفاة أبي قبل عام ونصف، جاءني اتصال صباحي عند السابعة. هرعت على إثره إلى مستشفى السلام، وهناك هالني المشهد: جميع أفراد العائلة، جميع الأولاد والأحفاد، أبناء العمومة والخؤولة. لا تكاد تصدق ما تراه، فقط تشعر برهبته وجسامته. همست لنفسي: لماذا لا أرى كل هذا الجمع في لحظات الفرح والرخاء؟ سؤال استعصى عليّ جوابه.

كانت أمي تبكي بحرقة وبصوت عالٍ، والبقية جميعهم يجهشون بالبكاء، وحدي كنتً الصامتة الهادئة. هدوء غريب نزل عليّ، لكن بعد شهر من وفاة أبي، وخلال جلسة عميقة مع إحدى الصديقات، بكيت كما لم أبكِ في حياتي. ثم، مع مضي الوقت شيئًا فشيئًا، بدأت أتقبل حقيقة غياب أبي وأتعايش معها، وإن بقيت أحاديثه وذكراه حاضرة داخلي.

للمفارقة الثانية، في صباح الخامس من أغسطس 2025، رنّ الهاتف في الوقت نفسه: السابعة صباحًا.

أعادني الرنين مباشرة إلى صباح الثاني والعشرين من فبراير 2024. أدرك جسدي بالفطرة أن أمرًا جللًا قد وقع.

وقبل أن أخمّن شيئًا، جاءني ابني، تبادلنا النظرات، وقبل أن يتكلم احتضنته وأنا أبكي. هرعنا جميعًا إلى بيتها. فعادت إليّ اللحظات ذاتها، وحضرني المشهد نفسه حين فُجعنا بوفاة أبي، مع بعض الاختلاف. ها هو الفقد يجمعنا قسرًا مرة أخرى: أفراد العائلة، الجيران، الأصدقاء المقرّبون، كما في رحيل أبي.

في هذا الفقد بكيت بحرقة. أتراني أدركت عميقًا معنى الفقد؟ أم لأن الفقد أصبح الآن فقدين؟ يرحلون، لكن مشاعر فقدك لا تنتهي برحيلهم؛ بل تراودك على هيئة صور وحكايات، ومواقف وأمكنة جمعتك بهم، تتذكر أحاديث لم تُقل، لم تصلهم.

وأحداث ومواقف تمنيت لو عاشوها معك، لكن الموت حال بينك وبين تحقيق تلك الرغبة. مشاعر الفقد ستظل ترافقك في قولك، في صمتك، في كل تفاصيل يومك. طيفهم سيظل حاضرا دائمًا أمامك، لا يغادر مقلتيك. مشاعر الفقد تبقى معك أيّامًا وليالٍ طوالًا، بل كل ما تبقى لك من عمرك.

أغنيـة المقـاومـة اليسـاريـة البـاقيـة

دعتني صديقتي لحضور عرس ابن عمها. كنا جالستين عندما انطلقت من ساحة الرقص موسيقى الأغنية الإيطالية الشهيرة ciao bella ciao فسحبتني صديقتي إلى ساحة الرقص وهي ترفع صوتها بابتهاج: "هذه الأغنية رائعة". ضحكت لأن صديقتي دائما ما كانت تقول لي إنني يسارية في الوقت بدل الضائع: "ياخ في زول عاقل لسة مؤمن بالشعارات دي ولسه بيحلم أنها تتحقق في الواقع ووين؟ هنا في هذه البقعة من العالم؟".

فائزة مصطفى

كنت ابتسم بانتصار وانا أرى مدى إنفعالها و تفاعلها مع أشهر أغاني المقاومة اليسارية في إيطاليا، وعندما وصل مقطع الأغنية الذي يقول si io mouio da partigane tu me debes sipallere زاد انفعال صديقتي فارتفع صوتها مردداً كلمات المقطع بنشوة وهي تميل عليّ:"هذا أجمل جزء.. جزأي المفضل في الأغنية".

ضحكتُ بصوت عالٍ، فالمقطع يقول: "إذا مت وأنا مناضل يساري من واجبك أنت أن تدفنني".

كلمة partigane (بارتجاني) الواردة في المقطع تعني حرفيا "رجل الحزب أو رجل حزبي أي أنه ينتمي إلى حزب سياسي" لكنها في تاريخ إيطاليا ما بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت معنى آخراً، فأصبحت تعني اليسار المناضل أو بالأصح الشخص الذي ينتمي إلى الأحزاب اليسارية أو الحزب الشيوعي تحديداً.

عقب الحرب العالمية الثانية كانت إيطاليا تواجه إنقساماً مجتمعياً مناطقياً سياسياً، شكّل خطراً هدد وجودها كما عرفناها إيطاليا اليوم.. الحكم الفاشي المستبد، والفقر المقدع والشتات الإيطالي في كل بقاع العالم بحثاً عن حياة كريمة كانت أسباباً كافية لتمزيق نسيج هذا البلد المكوّن في الأصل من رقع من دويلات و ممالك وإمبراطوريات متباينة الانتماءات والثقافات، لكن التاريخ لا يفتأ يذكر الأدوار العظيمة التي لعبتها الأحزاب اليسارية والحزب الشيوعي الإيطالي في الحفاظ على وحدة هذا البلد العريق وتأسيس الجمهورية الإيطالية الرائعة التي نعرفها اليوم، فقد خاض رجال و نساء الأحزاب اليسارية معركة كفاح اجتماعي سياسي، وحتى مسلح، قدّموا فيها شبابهم وأرواحهم من أجل العدالة الاجتماعية وترسيخ قواعد الديموقراطية التي تنعم بها إيطاليا الآن.

عقب سقوط الفاشية وميلاد الجمهورية الإيطالية أصبحت مفردة (بارتجاني) مفخرة ولقباً يعني وسام شجاعة في المجتمع الإيطالي، فعلى أكتاف اليساريين وقع حمل إعادة العدل المجتمعي وتصحيح مسار التعليم وتوعية الناس بأهمية السياسة ومسؤولية الإدلاء بالأصوات في الانتخابات لاختيار من يصلح فعليا للحكم وترسيخ حقوق الفئات المهمشة في المجتمع، وقد واجهت الأحزاب اليسارية وما تزال محاربة شرسة من الدولة العميقة المتمثلة في الرأسمالية اليمينية ورجال الدين، واليمين المتطرف والقانونيين المنتمين للفاشية البائدة، فلاحقتهم الاغتيالات وتشوية السمعة وتلفيق التهم ونشر فوبيا اليسار بين البسطاء، فعلى الرغم من تشابه الأدوار التاريخية للأحزاب اليسارية في أمريكا اللاتينية و إيطاليا نجد أن اليسار اللاتيني يجري مجرى الدم في العروق والدولة بينما في إيطاليا الراهنة كما هو حال اليسار في منطقتنا مُحارب من قبل دوائر النفوذ الاقتصادية والسياسية المنتفعة التي تجد الدعم من المحاور الإقليمية التي تربطها المصالح مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالعودة إلى صديقتي وإلى الأغنية فإن إيطاليا تفردت بميزة عبقرية في مجال الأغنية الوطنية.. هذه الكلمات الخفيفة تجعل حفظ الأغنية سهل جداً، حتى لو لم تكن تعرف معني اي كلمة فيها، واللحن الراقص الذي يدفع بأكثر الشيوخ وقارا لأن يميلوا ويطربوا.

أن تسافر أغنية خاصة بتاريخ بلد عبر الزمن، وتعبر القارات فتعزف موسيقاها في حفلات الزفاف وأعياد الميلاد والتخرج ويرقص علي وقع كلماتها كل من يسمعها ويردد مفرداتها دون أن يحتاج إلى فهمها أمرعظيم يثبت أن المقاومة لا تموت وأن للتاريخ عدة طرق يتمّ توثيقه بها خارج الكتب، أجملها الأغنيات والموسيقى الراقصة.

إليكم ترجمتي لهذه الأغنية التي ستبقى واحدة من أجمل أغنيات المقاومة في العالم caio bella caio:

افقت في صباح أحد الأيام
وجدت نفسي أمام خيارين
إما الاستسلام للمغتصب
أو طريق النضال
محاطاً بالموت
وإذا متّ مناضلاً
يجب عليك دفن جسدي
اجعل قبري على سفح الجبل
تحت ظلّ زهرة جميلة
يمرّ الناس بقربها كل يوم
فيقولون: "أوه ما أجملها من وردة"
تردّ عليهم: هذه الوردة هي روح المناضل
الذي دفع حياته ثمناً للحرية
مرحبا ياجميلة!

الكرسي الأخير في الصالة الثقافية

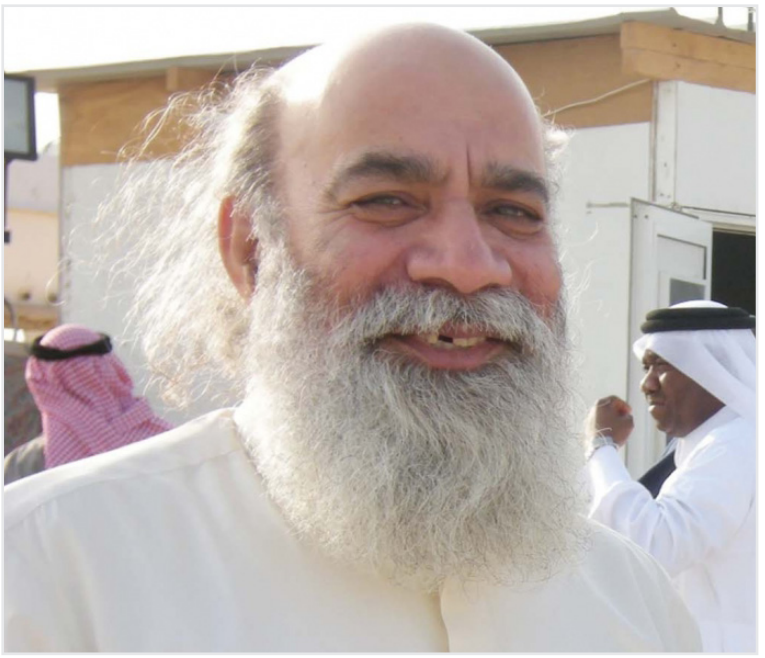

فوز مسرحية «قهوة ساخنة» لمسرح الصواري بجائزة أفضل ممثل في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، وترشيحها لجائزة أفضل ممثلة في ذات الدورة، ليس مجرد خبر فني عابر. هو استعادة لصوت قديم ما زال يتردد منذ عام 1994، حين صعد الراحل عبدالله السعداوي إلى منصة المهرجان ذاته لينال جائزة أفضل إخراج عن مسرحية «الكمامة».

بين الجائزتين يمتد خيط متصل لا ينقطع؛ فالسعداوي، الكاتب والمعلم، زرع البذرة الأولى، وتلامذته اليوم يحصدون ثمارها. لم يكن مجرد كاتب لمسرحية قهوة ساخنة، بل كان مؤسسًا لمدرسة قائمة على رؤية واضحة وتجربة راسخة، مدرسة تؤمن بالمسرح كفعل مقاومة للابتذال وكجسر دائم للحوار الإنساني المتجدد.

يبرز هنا حضور الأستاذ إبراهيم خلفان، المخرج والفنان الكبير، الذي يعد أحد أعمدة الحركة المسرحية في البحرين. تاريخُه ومكانته شاهدان على مسيرة طويلة كرّس فيها عمره للمسرح حبًا وإيمانًا، فكان حاضرًا في الساحة الفنية بعطائه المستمر ووفائه العميق للفن الذي نذر له حياته. وليس غريبًا أن يتصدى لإخراج نص «قهوة ساخنة»، بوصفه رفيق درب السعداوي وعضيده في تأسيس مسرح الصواري، ليحوّل العرض إلى وقفة عرفان بحق رفيق العمر، ومشهد وفاء يضيف للعمل بُعدًا إنسانيًا يوازي قيمته الفنية.

فوز «قهوة ساخنة» اليوم هو شهادة على أن إرث السعداوي ما زال حيًا، وأن مدرسة الصواري قادرة على العبور من جيل إلى آخر، لتؤكد أن المسرح البحريني، مهما ضاق فضاؤه المحلي، يظل يفتح أبوابه في القاهرة كما فتحها السعداوي قبل ثلاثين عامًا.

رغم رحيل عبدالله السعداوي، إلا أن حضوره ما زال يتردد في تفاصيل مسرح الصواري، في نصوصه وعروضه ونقاشاته وورشاته التدريبية التي تركت أثرها العميق. هذا الفوز في القاهرة ليس سوى استحضار لتلك الروح التي طالما مارست لعبة التجريب مع الحياة والموت، ورفضت أن تغادرنا. ولعله ما يزال حاضرًا في موقعه الأبرز: آخر كرسي في الصالة الثقافية.

حين يحتضن القلب الموت ويظلّ واقفاً

محمد علوش *

أنا الذي تحدّثتُ مع الصمت
حتى صار صديقي الوحيد،
أنا الذي احتضن الخراب
فزرعتُ فيه بذور الانتظار،
وبين رماد الليالي
نبتت الأحلام المجهضة،
تسير ببطء نحو فجرٍ لم يأت بعد.

أنا الذي يسير على حواف الليل
حاملاً قلبه بلا درع،
يسأل الموت: لماذا تطرق أبوابي؟
ويجيب بصمتٍ أعمق من الكلمات:
لست خائفاً منك،
فقد تعلمت أن أحتفل بالموت
كما يحتفل العاشق بغياب محبوبه.

أنا الذي أحبّ الحياة
على طريقتي الوحيدة:
أن أواجهها لا كضحية،
بل كشاهدٍ ظلّ واقفاً
حين فرّ الجميع،
أنظر إلى الجراح كأنها خريطة
تدلّني على أماكن قلبي التي لم تُقتل بعد،
أضع يدي على كل وجعٍ
وأقول له: سأحملك حتى آخر رمق.

أنا من يبني من الخيبة صرحاً،
ومن الصمت صدىً يوقظ المدى،
أنا من يعرف أن النهاية ليست نهاية،
وأن الموت ليس إلا نافذة،
من خلالها أطلّ على نفسي
وأرى ما تبقّى من الضوء،
من الصوت، من الحلم،
من كل شيءٍ لم يُحرق بعد.

* شاعر من فلسطين

سَأَلتُ أنا عنِّي أنا

شعر:
عبدالحميد القائد

سَألتُ أنا عنِّي أنا
فلم يَعرِفنِي أنا
قالَ ربما شاعرٌ
اهدرَ عمره
في المُقامرةِ في الحلم
اشترى التمرُّدَ بَدَلَ الحياةِ في العَسل
وضَع قلبَهُ في سلّةِ الحرّية
وَثِقَتَهُ المُفرِطَةَ
في الرِفاقِ والأصحَاب
هَبَّتْ الريحُ
انكَسَرتْ الأبوابُ

صارَ وحيدًا
هَرَبَت من تحتَ حذائَه الطُرقاتُ
وما زالت صورةُ جيفارا
معلّقةً على جدرانِ غُرفتِه
يتبارَكُ بها في كلِّ صباحٍ
يحدِّقُ في عَينَيهِ قَبلَ الخُروج
يَراه يبتسمُ بِفَخامَةِ الثّوارِ
وهُو يكتمُ ضِحكَتَه
متذكّرًا خِيانةَ الأسيادِ
ونُدرةَ القرشِ النقيِّ
في جيوبِ الشُرفاءِ مِن العِباد

يغمِضُ عَينَيْه
وهو يَهمُّ بالصراخِ
على رؤوسِ الأشهادِ
فَيَكتم دمعتَهُ العصيَّةَ
يصمتُ صمتَ مُنكسِرِي الروحِ
فينسكبُ فنجانُ قهوتِه
على صفحاتِ الروايةِ الضَخْمةِ
التي يقرأُها
لِتُنسِيه جَحيمَه اليوميّ

التقدمي

التقدمي العدد 215 ـ أكتوبر 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

ايمان شويطر

عندما تلقيّت النبــأ المفجــع

كان يوم خميس أسوداً قاتماً مشؤوماً، عندما تلقيت النبأ المفجع نبأً وفاتك أو بالأحرى استشهادك بعد مرور شهر وأسبوع على اعتقالك في 11 أغسطس 1986 .. وها هو التاريخ يعيد نفسه اليوم.. يوم الخميس 18 سبتمبر بعد مرور 39 عاماً، مرّت وكأنها 39 يوماً وما زلت أبكيك بنفس الحرقة التي اشتعل قلبي فيها ناراً وكنت أحمل هاشم الجنين في أحشائي، ليأتي إلى الحياة يتيماً بعد 15 يوما ليُسمى بإسم هاشم، كما كنت تنوى أن تسمي ابنك بإسم مناضل حر شريف كنت تنوى تسميته بإسم ناظم تيمناً بإسم الشاعر التركي الكبير ناظم حكمت الذي قال: أن أجمل الأيام هي التي لم نعشها بعد... وأجمل البحار بحراً لم ترتده أشرعتنا بعد، ونحن نعيش اليوم كما جاء في كلماته.

كان عادل إبني البكر الذي أسميته أنت لسبب في نفسك، ذوالسنتين وتسعة أشهر عند استشهادك. هو الذي اعتاد على حضنك ودلالك ليفتقدك بعد رحيلك عنه وعنا، فظهرت عليه ملامح الفقد والتيه، فلم يكن من السهل عليه التعبير عن فداحة الفقد. أصبح صعب المزاج وشديد العناد في ولكن في طفولته فقط. وها هما الآن ابناك عادل وهاشم شمعتان تنيران دربي أفخر بهما وبأخهما ناصر وأختهم حصة .. يضرب بهم المثل في سلوكهم وأخلاقهم.

هاشم الزوج.. الأب الإنسان.. هاشم الدكتور ..الطبيب.. هاشم المناضل البطل الذي قدّم حياته على كفه من أجل وطن حرٍّ وشعبٍ سعيد. اكتب عنك وإليك هذه الكلمات بدموعي ومن حرقة قلبي، هاشم أنت دافعي ..حاضر حولي أينما أبصرت.. في حياتك وغيابك. لك الحبّ.. و لك الوفاء.. لك المجد والخلود مع الشهداء الابرار.

أطــوي الــرســائــل والحـــروفُ أشمّهــا

نادية الملّاح

ثــلاثــون حــزنًــا قــد مــررن بخافقي
مــــازاغ نبضي مــا اســتــفــاق تــرنّمي

مــازلــتُ فــيــهــا كــالــمــلائــك في السّما
والحـــب ينمو في الأضـــالـــع والــدم

كــفّــاك تــدنــو كــي تــداعــب مهجتي
أصــحــو بــشــوقٍ والــدّمــوع كــأنجــمِ

الحـــبّ فــيــنــا كـــان كـــونَ صــبــابــة
مــامــتّ هــاشــمُ مــا استشاطَ توهمي

إيمـــــانٌ قــلــب كــنــتُ فــيــك وإنّــنــي
مــازلــتُ أنــثــى في غــرامــكَ ترتمي

المـــوت عـــدوًا قــد أراق شــبــابــه
قــلــبــي ضــريــحٌ بــالــقــداســة يحتمي

غــالــوك ظــلــمًــا في غــيــابــة جــبّــهــم
إذ أنـــت طــيــرٌ والجــوانــح أعــظــمــي

أطــوي الــرســائــل والحـــروفُ أشمّها
عــطــرٌ حـــواني فــاصــطــفــاه تنعّمي

قــد كــنــتُ كــلّــي في بــيــادر عشقه
مــثــل الــفــراشــةِ لــو تــطــيرُ لمبسمِ

الـــلـــونُ مــنــه أســتــمــدّ جــمــالَــه
فــأصــيــرُ ضــوءًا في مــدراكَ مــا عمي

يــاكــلّ كــلّــي قــد رحــلــتَ وإنّــمــا
حــيٌّ بــكــلّــي يــقــتــفــيــك تــلــعــثــمــي

إيمـــان روحـــي قــد تضاعف أدهـــرًا
والــظــنّ مــنــهــم أن يــكــونَ تهشّمي

بــــذرًا زرعـــتَ ولــلــنــوارس حلمها
ذات الــطــريــق سيستجيب لمقدمي

عــهــدًا لــقــلــبــي قــد قــطــعــتُ بعشقه
لا لــن يمــوتَ وفي الــفــؤادِ تــألّــمــي

تــلــك الحـــروفُ مــن الجـــراح مــدادُهــا
كــي يعلموا أنّي خــلــقَــتُ لــهــاشــمِ...

نم هــانــئًــا تحــت الـــتـــرابِ بــعــزّةٍ
يــومًــا تجــيء بــنــا اســتــفــاقــةُ نــوّمِ